الوصايا

في الكتاب والسنة

المجموعة الثانية ١٧ وصية

بقلم

الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي

الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

هذه الوصايا

أذيعت في إذاعة القرآن الكريم في برنامج

"الوصايا في الكتاب والسنة"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . شرع له من الدين ما وصى به نوحاً والنبيين من بعده ، فقال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾ [الشورى/١٣].

أما بعد : فيسرنى أن أقدم إلى القراء الكرام على اختلاف ثقافاتهم المجموعة الثانية من الوصايا فى الكتاب والسنة ، ونبدأ هذه المجموعة بالوصية بكتاب الله عز وجل الذي فيه الهدى والنور والعصمة لمن تمسك به والخير والفلاح لمن تدبر آياته وتخلق بتوجيهاته فقد كان خلق المصطفى ﷺ القرآن ، وهو الذى تكفل الله بحفظه ، كما قال تعالى : ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ [الحجر/٩].

وقد كان ذلك بحمد الله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

٢٠ ـ الوصية بكتاب الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد روى **البخاري** فى صحيحه فى كتاب الوصايا «عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي ﷺ أوصَى؟ فقال: لا. فقلت: كيفَ كُتِب على الناس الوصيَّةُ أو أمُروا بالوصية؟ قال: أوصَى بكتاب الله»[١].

كما **روى البخاري** «عن عمرو بن الحارث ختنِ رسولِ الله ﷺ أخى جويريةَ بنتِ الحارثِ قال: ما ترك رسولُ الله ﷺ عند موته درهماً، ولا دينارا، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة»[٢].

وروى البخاري أيضا «عن الأسود قال: ذكروا عند عائشة أن عليًّا رضي الله عنهما كان وصيًّا، فقالت: مَتَى أوصى إليه وقد كنت مسندَتَهُ إلى صدري، أو قالت حجري ـ فدعا بالطست، فلقد انخنث فى حجري فما شعرت إنه قد مات، فمتى أوصَى إليه»[٣].

إن هذه الأحاديث الثلاثة التى رواها البخاري فى كتاب الوصايا من صحيحه، قد تضمنت أموراً وأحكاما شرعية مهمة يجب على المسلم معرفتها واعتقادها، والعمل بها، والحذر من مخالفتها، فإن مخالفة ما جاء فى كتاب الله، وما ثبت فى سنة رسول الله ﷺ فيه وعيد شديد، فالله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور/٦٣].

---

(١) البخاري: كتاب الوصايا، ح ٢٧٤٠ طرفاه ٤٤٦٠، ٥٠٢٢

(٢) البخاري: كتاب الوصايا، ح ٢٧٣٩ اطرافه ٢٩١٢، ٢٨٧٣، ٣٠٩٨، ٤٤٦١.

(٣) البخاري: كتاب الوصايا، ح ٢٧٤١، ٤٤٥٩.

ولأهمية ما ورد فى هذه الأحاديث الصحيحة، فإننا سنحاول فى هذا المبحث وما بعده شرح هذه الأحاديث وتوضيحها ليستفيد منها القارىء على قدر ثقافته وعلمه، لأن الأحاديث عن الوصايا فى الكتاب والسنة لا تخص فئةً من الناس دون أخرى، بل الجميع فى حاجة إلى الاستفادة منها والتذكير بها.

فحديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما حينما سُئل - هل كان النبي ﷺ أوصَى؟ فقال: لا. فقال السائل فقلت: كيف كتب على الناس الوصيّةُ، أو أمروا بالوصيةِ - زاد المصنف فى فضائل القرآن - (ولم يوصِ) قال: أوصَى بكتاب الله».

قال ابن حجر - وبهذه الزيادة يتم الاعتراض - أي كيف يُؤْمَرُ المسلمون بشيء لم يفعله النبي ﷺ - فقال: أوصَى بكتاب الله.

إن هذا السؤال - يشير إلى الوصية عند الموت بالأمور التى يجب على المسلم أن يوصِ بها، لقوله تعالى: ﴿**كتب عليكم إذا حَضرَ أحدَكم الموت إنْ تَرَكَ خيراً الوصيةُ**﴾... الآية كما سبق الحديث عن ذلك فى الوصية عند الموت.

فأخبره أن رسولَ الله ﷺ - أوصَى بكتاب الله الذي، فى التمسك به والعمل بما جاء فيه الخيرُ والفلاحُ والسعادةُ فى الدنيا والآخرة.

وأما المال: فإن رسول الله ﷺ لم يخلف ديناراً ولا درهماً، وإنما الذى تركه صدقة، كما جاء فى الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ: «إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة». كما سيأتى توضيح ذلك بعد الحديث عن الوصية بكتاب الله، وبيان ما تشمله هذه الوصية.

أيها المسلم: إن الوصية بكتاب الله تشمل أموراً كثيرة:

منها - حفظه وصيانته من الزيادة فيه والنقص منه.

ومنها - النهي عن تحريفه وتأويله وصرفه عما دل عليه.

ومنها - العمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

ومنها - التحاكم إليه فى جميع شؤون الحياة.

لقوله ﷺ : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ـ كتاب الله وسنتي»[1].

١ ـ **فأما حفظ كتاب الله** وصيانته من الزيادة فيه والنقص منه، فقد تكفَّلَ الله عز وجل بذلك فقال تعالى: ﴿**إنَّا نحنُ نزّلنا الذّكْرَ وإنَّا لَهُ لحافِظُونَ**﴾ [الحجر/٩]. وقد حقَّقَ الله ذلك الوعد بحفظه ـ فقد أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ منجماً ـ أي مفرقا كما قال تعالى: **وقرءاناً فرقناه لتقرأه على النَّاس علَى مُكْثٍ ونَزَّلناهُ تَنْزيلاً**﴾ [الاسراء/١٠٦] ﴿**وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لولاَ نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً وَاحدةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ به فُؤَادكَ ورتَّلنَاهُ ترتيلاً**﴾ [الفرقان/٣٢].

وهكذا كلّما نزلت على رسول الله ﷺ سورةٌ، أو آيةٌ أمر كتَّاب الوحي من الصحابة بكتابة تلك السورة أو الآية فى موضعها، وكان جبريل عليه السلام يعارض القرآن مع رسول الله ﷺ فى شهر رمضان من كل عام.

وقد دارسه فى شهر رمضان فى السنة التى قبض فيها رسول الله ﷺ مرتين[2].

وقد علَّمَ الله عز وجل رسوله كيفية تلقى الوحى من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابقُ المَلكَ فى قراءته، فأمره الله عز وجل، إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفّلَ له أن يجمعه فى صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

قال تعالى: ﴿**لاَ تُحرِكْ به لِسَانكَ لتعجل بِهِ، إنّ علينا جمعه وقرءانه، فإذا قرءناهُ فاتبع قرءانه. ثم إنَّ علينا بيانهُ**﴾ [القيامة/١٦-١٩].

فالحالة الأولى: جمعه فى صدر النبي ﷺ، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه، أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمكَ معناه على ما أردنا وشرعنا.

---

(١) الموطأ: القدر ص ٥٦٠ ح٣.

(٢) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٤٣/٩ ح ٤٩٩٧.

وهكذا فقد قبض رسول الله ﷺ والقرآن مكتوب، محفوظ فى السطور، وفى الصدور عند الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يكن مجموعاً كله فى صحيفة واحدة ولما حدثت حروب الردة، ومنها موقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة، واستَحرَّ[1] القتل فى القراء من الصحابة، هال ذلك الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففزع إلى أبي بكر الصديق الخليفة الراشد الذي أجمع الصحابة على بيعتـه خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، وطلب منه جمع القرآن خوفاً من ذهاب بعضه بذهاب حملته، وقد تردَّدَ أبو بكر رضي الله عنه أول الأمر فى ذلك، ثم شرح الله صدره لقبول ذلك.

فدعى زيدا وقال له: إنك شاب عاقل وقد كنت من كتَّاب الوحى لرسول الله ﷺ، ثم أمره بأن يجمع القرآن المكتوب المفرق عند الصحابة. فقام بأعباء تلك المهمة التى وصفها بقوله: أنّه لو طُلب منه نقل جبل لكان أهونَ عليه مما كُلّفَ به[2].

فجمع القرآن كله، وأجمع الصحابة على ذلك، وبقي مجموعا فى صحائف بقية عهـد أبي بكـر ثم زمن خلافة عمر بن الخطاب، ثم بقى عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، ولما اختلف القراء فى الأمصار فى خلافة عثمان الخليفة الثالث الراشد، جمع القرآن الموجود فى تلك الصحائف فى مصحف واحد وأجمع الصحابة على ذلك، ووزع ذلك المصحف فى الأمصار، وهو المصحف المعروف بمصحف عثمان رضي الله عنه، وهو القرآن الموجود بين أيدى المسلمين من ذلك التأريخ إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها المسلم : إن الله عز وجل تكفَّلَ بحفظ القرآن الكريم، فهيأ له تلك الأسبـاب، لأنـه خاتم الكتب السماوية، فلم ينزل بعده وحي من السماء إلى

---

(١) استحرَّ ـ أي ـ كثر.

(٢) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/ ١٠ ح ٤٩٨٦.

الأرض، ورسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والرسل فلم يأت بعده رسول، وهكذا حفظ الله هذا الدين الذي ارتضاه لعباده بحفظ كتابه من الزيادة والنقص منه، وقد تضمن هذا الكتاب الذى لم يفرط الله فيه من شيء بتعاليمه السمحة سعادة البشرية كلها فى دينها ودنياها قال تعالى: ﴿**اليوم اكملتُ لكم دينَكمُ واتممت عليكُم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام دينا**﴾ وقال عن القرآن: ﴿**ما فرطنا فى الكتاب من شيء**﴾.

ولتمام هذه المعجزة بحفظ نص كتاب الله، فإننا فى عصرنا هذا نرى ونسمع إنه كلما طلعت طبعة لكتاب الله فيها عبثٌ وتحريف من أهل السوء، صاح بهم المسلمون من كل مكان، وبينوا زيفهم وأحبطوا كيدهم.

وأعجبُ من حفظ نص كتاب الله، هذه القراءات السبع أو العشر التى يتناقلها القراء مشافهة بعضهم عن بعض، إلى يومنا هذا، إذْ لا يستطيع القارىء أن يأخذها من كتاب بنفسه، وإن هذه القراءات المتناقلة مشافهة، لدليل صريح على حفظ نصّ كتاب الله، كيف لا، وقد تكفل السميع العليم بحفظه فقال: ﴿**إنَّا نحن نزّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون**﴾ وهذا ردٌّ من العليّ العظيم على من يدعي أن فى هذا القرآن الموجود نقصاً، كما تزعمه الرافضة، وأن القرآن الكامل موجود عند صاحب السرداب المختفى من الظلمة كما يزعمون من عام ٢٦٠هـ أي من أكثر من ألف ومائتي عام.

هذه لمحة مختصرة عن حفظ كتاب الله عز وجل من الزيادة أو النقص، كما أوصى رسول الله ﷺ أمته بذلك، وقد قاموا بتوفيق الله لهم بحفظه وصيانته، من الزيادة فيه والنقص منه.

وسنتحدث فى المبحث التالى عن حفظ كتاب الله من التحريف والتأويل، الذى اتخذه المغرضون سلّماً لصرف كتاب الله عما دل عليه.

٢١ـأ ــ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن وصية رسول الله ﷺ بكتاب الله ـ كما جاء فى حديث عبدالله بن أبي أوفى الذى أخرجه البخاري فى صحيحه فى كتاب الوصايا ـ وفيه ـ فهل أوصَى رسول الله ﷺ قال: نعم. أوصى بكتاب الله.

وقد سبق الحديث فى الوصية السابقة ـ عن حفظ نَصّ كتاب الله تعالى من الزيادة فيه أو النقص منه ـ كما وعد الله بذلك فى قوله: ﴿**إِنَّا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لهُ لحافظون**﴾ [الحجر/٩].

وبينَّا بعض الأسبابِ التى هيأهَا الله لإتمامِ هذا الوعد ومنها:

ــ كتابة القرآن كلهِ فى عهد رسول الله ﷺ.

ــ ثم جمعُ هذا المكتوب كله فى صحائفَ فى عهد الخليفةِ الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد موقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب الذى إدعى النبوة، وقد استحر القتل فى تلك الموقعة فى القراء من الصحابة.

ثم جمعُه مرة أخرى فى مصحفٍ واحدٍ فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، عند اختلاف القراء فى الأمصار، وإجماع الصحابة على ذلك المصْحف الذى أصبح معروفا بمصحف عثمان، وهو الموجود الآن بين أيدِ المسلمين فى أقطار الأرض.

ذلك ما عمله الصحابة الكرام لحفظ نَصّ كتاب الله من الزيادة أو النقصان.

أما حديثنا فى هذا المبحث ـ فسيكون عن دور علماءِ الأمّةِ ـ فى تطبيق وصية رسول الله ﷺ لحفظ كتاب الله، من التحريف، والتأويل، وصرف ألفاظه عمّا دلت عليه.

أيها المسلم : إنّ حكمة الله تعالى فى إقامة الحجة على عباده، اقتضت إرسال الرسل إليهم، وأن يكونوا من خيار قومهم، وأن يكون الرسول يتكلم بلسان قومهِ ليبّينَ لهم ما أراده الله منهم، وأن يكون الكتاب المنزّل عليهم بلسانهم، لمخاطبتهم بما يفهمون يقول الله تعالى موضحا ذلك فى كتابه: ﴿**رسلاً مبشّرينَ ومُنذرينَ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ [النساء/١٦٥]. ثم بين سبحانه وتعالى ـ أن أولئكَ الرسل الذين بعثهم إلى عباده مبشرين من أطاعهم بالفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة، ومنذرين من عصاهم بالهلاك فى الدنيا والشقاء فى الآخرة فقال: ﴿**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومهِ ليُبيّنَ لَهُم . . .**﴾ [إبراهيم/٤] أي ـ يبين لهم ما أراده الله منهم، وما أنزله عليهم فى كتابه الذى نزل بلغتهم، كما بين تعالى، أن الأمر لو كان على غير ذلك، بأن يكون المنزَّلُ بغير لسانهم لاعترضوا على رسولهم، فقال تعالى عن القرآن: ﴿**ولو جعلناهُ قرءانًا أعْجَميًّا لَقالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأعجميٌّ وعربي**﴾ [فصلت/٤٤] أي ـ قرءانًا أعْجميٌّ ـ والرسول عربي.

ولهذا قال تعالى: ﴿**إنَّا جعلناه قرءانًا عربيًّا لعلكم تَعقِلُونَ**﴾ [الزخرف/٣].

كما ردّ سبحانه على المشركين الذين اتهموا الرسول بأن الذى يعلمه القرآنَ بشر موضّحا بأن الذى يدّعون أنه يعلم الرسول أعجمي، أما القرآن الذى يتلوه عليهم فعربيّ مبين. فقال: ﴿**ولقد نَعلَمُ إنّهُمْ يقولونَ إنّما يُعلمهُ بشر لسانُ الذي يلحدونَ إليهِ أعجَميٌّ وهَذَا لسانٌ عربيٌّ مبين**﴾ [النحل/١٠٣].

تلك حكمة الله العلي العظيم فى إرسال رسله إلى عباده، وفى إنزال كتبه عليهم بلسانهم، ولغتهم التى يتخاطبون بها فيما بينهم، فحينما يأتيهم رسولهم ويتحدث معهم بلغتهم، ويقرأ عليهم ما أنزله الله عليه، بلغتهم التى يفهمونها، تقوم الحجة عليهم، وهذا الذى حدث بين الرسل وأممهم، فلم يقُولُوا لهم: أنتم تخاطبوننا بما لا نفهم، وإنما يردون عليهم عناداً واستكباراً وتكذيباً، والذين وفقهم الله واتبعوا أنبياءهم ـ كانوا يسألونهم عَما يشكل عليهم فيوضحون لهم ما سألوا عنه.

وقد جاء فى كتاب الله ما يشير إلى ذلك كقوله تعالى: ﴿**يَسألونَكَ عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج . . .**﴾ [البقرة/١٨٩].

وقوله تعالى: ﴿**يسألونَكَ عن الخمرِ والميسِر قُلْ فيهما إثْمٌ كبيرٌ ومنافع للناس**﴾ [البقرة/٢١٩].

وغير ذلك من الأمور المتصلة بالعبادات والمعاملات.

وأما أسماءُ الله سبحانه، وصفاتُ جلاله وكماله، فلم يثبت عن صحابي واحد الاستفسار عن شيء من ذلك، لوضوحها ودلالتها المفهومة من لغتهم التى خوطبوا بها. فإذا قال الله عز وجل فى كتابه: ﴿**ولِلّهِ الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه**﴾ [الأعراف/١٨٠].

فهموا ذلك وعملوا به فدعو الله بأسمائه الحسنى، دعاءَ عبادةٍ ودعاء مسألةٍ، وإذا سمعوا قوله تعالى: ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ اتّجه العبد إلى ربه وسأله المغفرة لذنوبهِ، والرحمةَ لحاله، وإذا سمع قوله تعالى: ﴿**ان الله سميع بصير**﴾ ﴿. . . **ان الله بكل شيء عليم**﴾ ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**﴾.

وما يماثل هذه الآيات، التى تشعر المؤمن بأن الله سبحانه يسمعه ويراه، ويعلمُ ما توسوس به نفسه فيصلح أعماله، كما دلت على ذلك الآيات من كتاب الله العزيز الدالة على حقيقة تلك المعاني المفهومة من لغة العرب التى خاطب الله بها عباده، كقوله تعالى: ﴿**قد سمع الله قولَ التى تجادلك فى زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير**﴾ [المجادلة//١] ولذلك قالت أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات فقد كان يخفى عليّ بعض كلام المجادلة وسمعها الله من فوق سبع سموات»[1] هكذا فهم الصحابة لمعاني تلك الأسماء والصفات.

---

(١) المسند: ٦/٤٦.

• البخاري: رواه معلقا، التوحيد، فتح الباري ١٣/٣٧٢.

• ابن ماجه: المقدمة ١/٦٧ ح ١٨٨.

إن هذا الإيمان الحقيقى بأسماء الله وصفاته يجعل المؤمن يراقب نفسه ويزجرها عن شهواتها ويبعدها عن الأفعال والأقوال السيئة لأنه يعلم ان الله يسمعه ويراه، وبذلك يصبح المرء من المتقين المحسنين كما جاء فى حديث جبريل حينما وصف الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1].

وهكذا يكون سلوك المؤمن ـ دائما لأنه يؤمن بما دلت عليه أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وهكذا كان المجتمع الأول من سلف هذه الأمة الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم، تسودهم الألفة والمحبة التى أنعم الله بها عليهم كما قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتُم أعداء فألف بين قُلُوبِكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**. ﴾ [آل عمران/١٠٣]. فكانوا إخواناً بإيمانهم ينشرون دعوة الحق بين الناس مؤمنون بكل ما جاء فى كتاب الله، وما ثبت فى سنة رسول الله ﷺ.

فغاظ أعداء الإسلام ذلك الائتلافُ، وتلك الأخوة الإيمانية، ومحبة الخير للعالم ونشر الإسلام بينهم، ولم يستطيعوا الوقوف فى وجهه بالسيف. فسلكوا مسالك شتى للكيد للإسلام، لأنهم يعلمون أنهم لن ينالوا منه إلا إذا طعنوا فى مصادره الأساسية، الكتاب والسنة.

ومن تلك المسالك إظهار بعضهم الإسلام، لا حباً له وإنما للكيد لأهله.

يقول ابن حزم رحمه الله فى كتابه الفصل ج ٢/١٠٨: وقد سلك هذا المسلك عبدالله بن سبأ الحميرى اليهودى، فإنه لعنه الله أظهر الإسلام لكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه، قال: وأحرق علي بن أبي طالب طوائف منهم أعلنوا بالهيته.

قال: ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة ـ وكذلك الباطنية، إن هذه العصابة المكونة من اليهود والمجوس القرامطة والباطنية، هي

---

(١) البخاري: الإيمان، فتح الباري ١/١١٤ ح ٥٠
٠ مسلم: الإيمان ١/٣٦ ح ١.

التى قامت بتحريف آيات القرآن الحكيم وصرفها عن ظاهرها لقصد إفساد عقائد المسلمين، كما سيأتى بيان ذلك فى المباحث التالية، وبيان موقف علماء السنة من هؤلاء المفسدين وفضح خططهم، والرّد عليهم صيانة لكتاب الله الذى تكفل الله بحفظه، وقياماً بوصية رسول الله ﷺ بحفظ كتاب الله كما فى حديث عبدالله بن أبي أوفى، هل أوصى رسول الله ﷺ بشيء قال: نعم. أوصى بكتاب الله.

فإلى المباحث التالية لبيان ما قام به علماء الأمة لتنفيذ وصية رسول الله ﷺ بحفظ كتاب الله عز وجل.

٢٢ـب ـ الوصية بحفظ كتاب الله من التحريف والتأويل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق الحديث عن الوصية بحفظ كتاب الله عز وجل من التحريف والتبديل عملا بوصية رسول الله ﷺ بحفظ كتاب الله والعمل بما جاء فيه. وحديثنا اليوم هو صلة لذلك البحث.

إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين حضروا التنزيل، وأخذوا القرآن كتاب الله من رسول الله ﷺ مباشرة قد أقاموا كتاب الله عز وجل، فأحلُّوا حلاله، وحرموا حرامه وعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه إيمانا وتسليما لقوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزلَ عليك الكتابَ منه ءايات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأخر متشابهاتٌ فأما الذين فى قلوبهم زيغٌ فيتبعونَ ما تشابهَ منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويلَهُ إلاّ الله والراسخونَ فى العلم يَقُولُونَ ءامنَّا به كلٌ من عندِ ربّنَا وما يذَّكرُ إلاَّ أولُوا الألباب**﴾ [آل عمران/٧].

إن أصحاب رسول الله ﷺ من الراسخين فى العلم، ولذلك فقد طبقوا هذه الآية الكريمة فى عقائدهم وأعمالهم، فكانت هي منهجهم فى الإيمان بما جاء فى كتاب الله عزّ وجل، وكذلك كان سبيل من اتبعهم وصار على دربهم من المؤمنين المتبعين لهم بإحسان، وقد اجمعوا على أن أسماء الله عز وجل وصفاته من الآيات المحكمات فعملوا بها لفهمهم لمعانيها وما دلت عليه، فدعوا الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا دعاء عبادة ودعاء مسألة امتثالاً لأمره تعالى فى قوله: ﴿**ولِلّهِ الأسماء الحسنى فادعوهُ بها وذروا الذين يلحدونَ فى أسمائه . . .**﴾ [الأعراف/١٨٠].

ولاخباره عن نفسه بأنه يجيب المضطرَ إذا دعاه، ولقوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادِى عنّى فإني قريب اجيبُ دعوةَ الداعى إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بِي لعلهم يرشدون**﴾ [البقرة/١٨٦].

وقد أشرنا إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم، لم يسألوا رسول الله ﷺ حين نزول القرآن الذى اشتمل على أسماء الله عز وجل وصفاته عن شيء من ذلك، لأنّ الله عز وجل بين ذلك لعباده واوضحه فى كتابه وعلى لسان رسوله - لأن الناس - قد اشركوا بربهم وخالقهم معبودات أخرى ظنوا أن لها من الأمر شيء - فكانوا لذلك فى أمسّ الحاجة إلى بيان وتوضيح ما يزيل عنهم تلك الشبه المضلة، فحاجتهم إلى معرفة خالقهم وبارئهم ببيان أسمائه وصفاته، وإنه هو المستحق للعبادة وحده، أشدَّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب لحفظ حياتهم وأجسادهم.

فأنزل الله القرآن بلسانهم، فعرفوا ربَّهم بأسمائه وصفاته، وفهموا ذلك فهما جليا وواضحاً، فلم يسألوا رسول الله ﷺ عن شيء من ذلك، مع إنه اشتبهت عليهم أمور فى الحلال والحرام فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ونزل القرآن من الحكيم العليم بالجواب عنها كقوله تعالى: ﴿**يسألونك ماذا أحل لهم قُل أحل لكم الطيبات**. . .﴾ [المائدة/٤].

وقوله: ﴿**يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج**. . .﴾ [البقرة/١٨٩].

وقوله: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذَا ينفقون قل العفوَ**. . .﴾ [البقرة/٢١٩].

وغير ذلك مما ورد ذكره فى القرآن الكريم.

أيها المسلم: إن الله عز وجل قد بين لنا فى الآية السابقة أن **الذين فى قلوبهم زيغ، هم الذين يتبعون متشابه القرآن** ابتغاء الفتنة، وأعظم الفتن إفساد عقائد المؤمنين.

وأما المؤمنون بالله، فيعلمون معاني أسماء الله وصفاته ويدعونه بها فيتخيرون لكل حاجة ما يناسبها من أسماء الله وصفاته، فمن أراد المغفرة والرحمة دعى الله باسمه الغفور الرحيم، ومن أراد الرزق دعاه باسمه الرزاق ومن أراد النصر على

أعدائه دعاه باسمه القوى، وهكذا كان سلف هذه الأمة ومن تبعهم. وقد جعلوا إجابة الإمام مالك رحمه الله لذلك المبتدع، دستورا ومنهجا فى جميع آيات الصفات وأحاديثها.

وهو قوله للسائل عن صفة الاستواء فى قوله عز وجل: ﴿**الرّحمَن على العرش استوى**﴾ كيف استوى؟ فقال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ـ ولا أراك إلا مبتدعاً وأمر بإخراجه.

وبهذا قال علماء السلف: إن صفات الله عز وجل معلومة المعنى من لغة العرب التى نزل بها القرآن ـ أما كيفيتها فلا يعلمها إلا الله عز وجل ـ ولكن ماذا صنع أرباب التأويل لكتاب الله، إنهم ادخلوا صفات الله بزعمهم فى المتشابه الذى لا يُعلم معناه ـ وأنها كالحروف المقطعة فى أوائل السور مثل: الم ـ حم ـ الر ـ.

فخالفوا بذلك ـ الكتاب، والسنة ومنهج علماء سلف الأمة، والفطر السليمة إذ لو كانت غير مفهومة المعنى ـ فكيف يختار المسلم عند طلبه من ربه المغفرة اسمه الرحمن الرحيم، الغفور، وعند طلبه منه الرزق ـ يدعوه باسمه الرزاق، وعند طلبه النصر على أعدائه ـ يدعوه باسمه القوي، وهكذا يختار المسلم المؤمن لكل حاجة يريدها من ربه وخالقه الاسم المناسب لمسألته.

ومن هنا قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه: الصواعق المنزلة:

«فصل فى جنايات التأويل على أديان الرسل وأن خراب العالم وفساد الدنيا والدين بسبب فتح باب التأويل»

ثم قال: إذا تأمل المتأمل فساد العالم وما وقع فيه من التفرق والاختلاف وما دفع إليه أهلَ الإسلام، وجدناه ناشئاً من جهة التأويلات المختلفة، المستعملة فى آيات القرآن، واخبار الرسول صلوات الله وسلامه عليه، التى تعلق بها المختلفون، على اختلاف أصنافهم فى أصول الدين وفروعه، فإنها أوْجَبتْ ما أوجبَتْ من التباين، والتحارب، وتفرق الكلمة، ونشأة الأهواء، وتصدع

الشمل، وانقطاع الحبل، وفساد ذات البين، حتى صار يكفر ويلعن بعضهم بعضا، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم أنفسهم وحرمهن وأموالهم، ما هو أعظم مما ترصَدهم به أهل دار الحرب من المنابذين لهم. . . إلى أن قال: وجملة القول: فإن التأويلات لآيات القرآن ـ أصل كل فساد وفتنة، وأساس كل ضلال وبدعة، والمولدة لكل اختلاف وفرقة، والناتجة أسباب كل تباين وعداوة وبغضة. قال: ومن عظيم آفاتها ومصيبة الأمة بها، أن الأهواء المضلة، والآراء المهلكة، التى تتولد من قبلها لاتزال تنمو وتتزايد على ممر الأيام وتعاقب الأزمنة.

إلى أن قال: وليست الحال فى الضلالات التى حدثت من قبل أصول الأديان الفاسدة كذلك، فإن فساد تلك معلوم عند الأمة، وأصحابها لا يطمعون فى إدخالها فى دين الإسلام، فلا يطمع أهل ملة اليهودية، ولا النصرانية ولا المجوسية، ولا الثنوية ونحوهم أن يدخلوا أصول ملتهم فى الإسلام، ولا يدعو مسلما إليه ولا يدخلوه إليهم من بابه أبداً.

بخلاف فرقة التأويل، فإنهم يدعون المسلم من باب القرآن والسنة وتعظيمهما، وأن لنصوصهما تأويلاً لا يوجد إلا عند خواص أهل العلم والتحقيق، وإن العامة فى عمى عنه.

فضرر هذه الفرقة على الإسلام وأهله، أعظم من ضرر أعدائه المنابذين له.

أيها المسلم: يا طالب العلم الشرعي، إن أعظم فرق التأويل ضررا على الإسلام وأهله، ومحاربة له وهدما لمعاقله، فرق الباطنية بجميع فروعها المتشعبة عنها. وتليهم من فرق التأويل ـ الجهمية، ثم المعتزلة، وهكذا كل فرقة دخلت فى باب تأويل آيات القرآن الكريم، والسنة، وصرفهما عما دلت عليه.

إن من جنايات التأويل على الدين وأهله وأبلغها نكاية فيه، أن المتأول يجد باباً مفتوحا لما يقصده من تشتيت كلمة أهل الدين وتبديد نظامهم، وسبيلا سهلة إلى ذلك، فإنه يحتمي من المسلمين بإقراره معهم بأصل التنزيل، ويدخل نفسه

فى زمرة أهل التأويل، ثم بعد ذلك يقول ما شاء ويدعى ما أحب، لادعائه أن أصل التنزيل مشترك بينك وبينه.

إن هؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك لتحريف كتاب الله عن طريق التأويل لألفاظه ومعانيه ـ قد بينهم الغزالى فى كتابه المسمى «بفضائح الباطنية» حيث قال:

تشاور جماعة من المجوس المزدكية، وشرذمة من الثنويه الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم، من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله آخر الأمر. قالوا: قد تفاقم أمر محمد، واستطارت فى الأقطار دعوته، وقد طبق اتباعه وجه الأرض، ولا مطمع لنا فى مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنزالهم عما أصَرُّوا عليه إلا بمكر واحتيال.

فسبيلنا أن تنتحل عقيدة طائفة من فرقهم، هم أركّهم عقولاً وأسخفهم رأياً، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، **وهم الروافض. ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد**، ونتوصل إلى **تطويل اللسان فى أئمة سلفهم**، الذين هم أسوتهم وقدوتهم، حتى إذا قبحنا أحوالهم فى أعينهم وما ينقل إليهم من الشرع بنقلهم وروايتهم، انسدَّ عليهم باب الرجوع إلى الشرع وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع من الدين.

ثم قالوا: وان بقي عندهم معتصم من ظواهر القرآن، ومتواتر الأخبار، أوهمناهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وإن أمارة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المرادة بظواهر القرآن[1] أهـ.

---

(١) فضائح الباطنية ص٥٦.

أيها المسلم المؤمن بكتاب الله : هكذا عملت هذه الفرقة الملحدة بآيات القرآن الكريم وإليك نماذج من تحريفهم، وتحريف الفرق الأخرى المنتسبة إلى الإسلام، لظواهر آيات القرآن الكريم ـ فى العقائد، والعبادات، بل وأركان الإسلام الخمسة ودعواهم أن كل تلك الأركان والأحكام كلها، تشير إلى رموز، إذا عرفها الإنسان فقد جاء بما طلبه منه الشارع. نسأله تعالى أن يعصمنا من الزلل، بهدي كتابه إنه حفيظ عليم.

٢٣ - أ - الوصية بحفظ كتاب الله من التحريف والتبديل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلازال حديثنا عن الوصية بحفظ كتاب الله عز وجل من التحريف والتبديل كما أوصى رسول الله ﷺ بذلك.

وقد سبق الحديث عن أرباب التأويل، وتحريفهم لنصوص كتاب الله وصرفها عن ظاهرها المفهوم منها، لأن الله خاطب عباده بلغتهم التى يفهمونها، وأرسل إليهم رسولاً منهم يتحدث بلسانهم ليبين لهم ما أراده الله منهم، فيما يشكل عليه ويسألونه عنه، لتقومَ الحجةُ عليهم كما قال تعالى: ﴿**وما أرسلْنَا من رسول ٍ إلا بلسانِ قَومِهِ ليبيّنَ لهم**. . .﴾ [إبراهيم/٤].

ووعدنا بذكر نماذج من تأويلات القرامطة الباطنية، ومن سلك هذا المسلك قبلهم، من جهمية ومعتزلة وغيرهم، ممن فتح باب التأويل لكل مفسد أراد الطعن فى دين الله، عن طريق الطعن فى كتاب الله العزيز وسنة رسوله المصطفى ﷺ، الموضحة والمفسرة لكتاب الله تعالى.

أيها المسلم: إن هؤلاء الباطنيّة من إسماعيلية، وقرامطة، وغيرهم، المؤصّلين لهذه العقائد الباطلة لهدم الدين، - والموجودين اليوم فى مجتمعاتنا الإسلامية، بأسمائهم القديمة، أو الجديدة التى لا تغير من الحقائق شيئاً، قد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد، أنَّهم ملاحدة، فمنهم من يقول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى - واسم العلة السابق. واسم المعلول التالى. ثم انطلقوا فى التلبيس على من لا يعرف أهدافهم وإلحادهم، - بتأويل آيات من كتاب الله، يستدلون بتحريفها على كفرهم وإلحادهم، وقولهم بتعدد الآلهة، فقالوا: جاء فى القرآن قوله: ﴿**إنا نحن نزلنا الّذكر**. . .﴾ وقوله: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم**. . .﴾ فزعموا أن

هذه الآيات إشارة إلى جمع لا يصدر عن واحد، لقوله: «نحن» ولم يقل: «أنا» بضمير المفرد.

كما لبّسُوا أيضاً بتأويل آيات لتفسير السابق واللاحق، فقالوا: جاء فى القرآن قولـه: ﴿**سبّح اسم ربك الأعلى**﴾ وهو إشارة إلى السابق من الإلهين، فإنه الأعلى، ولولا أن معه إلهاً آخر، له العلو أيضا لَما انتظم اطلاق الأعلى.

ثم قالـوا: ـ وهو ما يريدون الوصول إليه من إلحادهم ـ إن الإله السابق لا يوصف بوجود ولا عدم، فإن العدم نفي والوجودَ سببه، فلا هو موجود، ولا هو معدوم، ولا هو معلوم، ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، ثم قالوا: وجميع الأسماء منتفيةٌ عنه. هذه مقولتهم.

مع أن الله تعالى يقول عن نفسه: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذرُوا الذين يلحدون في أسمائه**. . .﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وفى صحيح البخاري ـ قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة[1].

ولترويج إلحادهم هذا، وخوفاً من الرّد عليهم، لو قالوا انه معدوم، ـ منعوا الناس من تسميته موجوداً، وهو عين النفي، مع تغيير العبارة، ولكنّهم تحذقوا فسَمَّوْا النفي تنزيهاً، وسموا مناقضه تشبيها حتى تميل القلوب إلى قبوله.

ثم قالوا: ـ إن كل ما ورد من الظواهر فى القرآن، فى التكاليف الشرعية، والحشر، والنشر، كلها رموز إلى بواطن ولا تدل على ما يفهم من ظاهرها.

فمن تأويلاتهم للتكاليف الشرعية قولهم:

الصيام: هو الامساك عن كشف السر.

والصلوات الخمس: أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام.

---

(١) البخاري: الدعوات، فتح الباري ١١/ ٢١٤ ح ٦٤١٠.

فالفجر : دليل السابق.

والظهر : دليل التالى.

والعصر : للأساس.

والمغرب : دليل الناطق.

والعشاء : دليل الإمام.

هذا هو الصوم ـ وهذه هي الصلوات عندهم ـ كلها رموز لهذه الخزعبلات فمن عرفها فقد صام وصلى ولا شيء عليه خلاف ذلك، وهكذا بقية التكاليف.

فالطهور : هو التبري والتنظف من اعتقادِ كل مذهبٍ سوى مبايعة الإمام.

والكعبة : هي **النبي، والباب علي**.

والصفا : النبي، والمروة علي.

والتلبية : إجابة الداعي.

والطواف بالبيت سبعاً : هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة.

وأما المعاد والقيامة، وما فيها من وعيد ـ فزعموا أن **النار والأغلال** الوارد ذكرها فى **القرآن** ـ هي **عبارة** عن **الأوامر والنواهي** التى هي التكاليف ـ فإنها **موظفة** على **الجهال** بعلم الباطن فما داموا مستمرين عليها، **فَهُمْ معذّبون**، فإذا نالوا **علم الباطن**، وُضعتْ عنهم أغلال التكاليف **وسعدوا بالخلاص عنها**.

وهكذا أخذوا يؤولون كل لفظ ورد فى الكتاب والسنة ـ:

فقالوا ـ قوله ـ ﴿**أنهارٌ مِنْ خمرٍ**﴾ هو العلم الظاهر.

﴿**وأنهارٌ من عسل مصفى**﴾ هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة[1].

وهكذا ساروا فى هذه التأويلات الفاسدة التى تدل على مخازيهم، وخبثهم، وقصدهم السيء لهدم الإسلام كله، وتقويض أركانه.

---

(١) انظر فضائح الباطنية، للغزالى ص ٥٦ وما بعدها. مؤسسة دار الثقافة، الكويت، تحقيق عبد الرحمن بدوي.

إن هؤلاء الملاحدة من باطنية وقرامطة، الذين سطوا على كتاب الله بالتحريف والتبديل، وصرف ألفاظه عن ظاهرها المفهوم منها من طريق التأويل، لم يتركوا شيئاً من تعاليم هذا الدين الحنيف إلا أبطلوه، بدءً بعقيدة التوحيد، والنبوات، والمعاد، والحشر، والنشر، وخَتْماً بالتكاليف الشرعية، .كما رأيت تلك النماذج من تحريفهم لكتاب الله، وتفسيرهم لأركان الإسلام الخمسة وغيرها من شرائع الإسلام وأحكامه، وحجتهم فى ذلك عمل أهل التأويل، فإن المتكلمين من جهمية، ومعتزلة، وأشاعرة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم، فَأَوّلَ الأخبار التى جاءت فى كتاب الله عز وجل، عن أسمائه تعالى وصفاته، وصَرَفَها عما دلت عليه، بالتأويل الباطل، قد فتحوا الباب لكل مفسد أراد الطعن فى كتاب الله، كما قال الإمام ابن القيم فى كتابه الصواعق: ـ تأولت كل طائفة لنفسها تأويلا ذهبت إليه، ومن هنا قال هؤلاء الباطنية للمتكلمين ـ نحن وأنتم مؤمنون بأصل التنزيل، أي ـ القرآن، وقد أبحتُم لأنفسكم تأويل الأخبار التى وردت فى القرآن عن أسماء الله وصفاته، وصرفتموها عن ظاهرها، وأنها لا تدل على حقائقها ومعانيها المفهومة منها.

قالوا: ونحن نبيح لأنفسنا مثلكم ـ التأويل فى المعاد، والحشر والنشر، والتكاليف الشرعية، وأنها عندنا لا تدل على حقائقها التى دلت عليه ألفاظها، من القرآن والسنة، وإنما هذه الألفاظ تدل على رموز إذا عرفها المكلف فقد قام بما طلب منه. ثم قالوا: وليس تأويلكم للصفات بأولى من تأويلنا، لاشتراكنا فى الإيمان بأصل التنزيل، وإبَاحَتِنَا جميعاً نحن وأنتم للتأويل، وهذا إلزام للمأولة، بلازم مذهبهم، والقاعدة، أن لازم المذهب لا يكون مذهباً، إلّا إذا التزم به صاحبه، وقد ألتزم المتكلمون المؤولون لآيات الصفات وأحاديثها بذلك، وتفلسفوا فى التفريق بين تأويلهم وتأويل الباطنية بما ليس دليلاً لهم، ولا يدل على التفريق بين التأولين بشيء واضح، لأن التأويل كله صرف للللفظ عما دلّ عليه.

يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه (فضائح الباطنية) ص ٥٣، وهو يتحدث عن مناظرة الباطنية فى تأويلهم لآيات الحشر والنشر والجنة والنار، وإنها لا تدل

على المعنى المفهوم من ظاهر ألفاظها، وقولهم للمؤولة من المتكلمين الذين يَرُدُّونَ عليهم تأويل الجنة والنار. قال :

فإن قيل: فهذا ـ أيْ ـ الرّد ـ ينقلب عليكم، فأنتم تجوزون أيضاً تأويل الظواهر، كما أولتم آية الاستواء، وخبر النزول وغيرهما.ـ

قلنا ـ أيْ المؤولون لهذه الصفات ـ ما أبعد هذا القلب، فإنّ لنا معياراً فى التأويل، وهو أن ما دل نظرُ العقل ودليلهُ على بطلانِ ظاهره علمنَا ضرورة، أن المرادَ غيرُ ذلك، بشرط أن يكون اللفظ مناسباً له، بطريق التجوز والاستعارة، ثم قال: فقد دل الدليل على بطلان الاستواء والنزول، فإن ذلك من صفات الحوادث، فحُمِلَ على الاستيلاءِ، وهو مناسب اللغة.ـ قلن وهكذا يتجرأ المؤولة على القول بإبطال كلام الله وكلام رسوله.

فإلى البحث التالي ـ لبيان إبطال هذه الجرأة على الله ورسوله، وتوضيح الرّد الصحيح على هؤلاء المبطلين جميعاً المحرفين لكتاب الله ـ من باطنية، ومتكلمين، بما قاله أهل السنة والجماعة المعظمين لكلام الله تعالى ـ ولسنة رسول الله ﷺ.

٢٤-ب ـ الوصية بحفظ كتاب الله من التحريف والتأويل والتبديل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن حفظ كتاب الله العزيز من التحريف والتأويل لوصية رسول الله ﷺ بحفظ كتاب الله.

وقد مضى فى المبحث السابق، أن الباطنية من قرامطة وإسماعيلية، الذين سطوا على كتاب الله بالتحريف، عن طريق التأويل الذى فتح بابه المتكلمون من جهمية ومعتـزلة ومن سلك مسلكهم من المؤلة لأسماء الله وصفاته، وأن هؤلاء الباطنية الذين أولوا التكاليف الشرعية، بما فيها أركان الإسلام الخمسة، والجنة والنار وأنها كلها رموز لا حقيقة لها، **قد ألزموا المتكلمين بذلك** حيث قالوا: ليس تأويلكم للصفات بأولى من تأويلنا للتكاليف الشرعية والجنة والنار، لاشتراكنا نحن وأنتم فى الإيمان بأصل التنزيل، وتسويغنا جميعاً للتأويل، فما الذى أباحه لكم. وحرّمه علينا. وقلنا إن هذا الزام للمؤلة بلازم مذهبهم وإن لازم المذهب لا يكون مذهباً إلا إذا ألتزم به صاحبه، وقد سبق ذكر طرف من رد المتكلمين فى ذلـك على البـاطنية وهنـا نستكمل ذلك البحث، ونعيد طرفا مما مضى لربط الموضوع بذهن القارىء.

فنقول : إن لازم المذهب لا يكون مذهبا إلا إذا ألتزم به صاحبه، ويظهر، أن المتكلمـين المؤولـين لآيات الصفـات وأحاديثها قد ألتزموا بذلك، إلا أنهم تفلسفـوا للتفـريق بين تأويلهم لصفـات الله عز وجـل، وبـين تأويل الباطنية للتكاليف الشرعية والجنة والنار، بما ليس دليلاً على التفريق بينهما لأن التأويل كله يصدر من مشكاة واحدة، ألا وهي تحريف كلام الله وكلام رسوله وصرفه عن ظاهره، وإنه لا يدل على الحقيقة المفهومة منه.

وقد دل على التزامهم قول أبي حامد الغزالى فى كتابه «فضائح الباطنية» وهو من المـأولـة لصفـات الله عز وجل فيقول فى ص ٥٣ وهو يتحدث عن مناظرة الباطنية للمتكلمين، فى تأييد تأويلهم لآيات الحشر والنشر والجنة والنار، وأنها رمـوز لا تدل على المفهـوم من ظاهر ألفاظها، ثم قولهم للمؤولة من المتكلمين الذين يردُّون عليهم تأويل الجنة والنار. الخ.

فإن قيـل : فهـذا ينقلب عليكم فأنتُم ـ أي ـ المتكلمون ـ تجوّزون أيضا تأويل الظواهر، كما **أولْتُم** آية **الاستواء، وخبر النزول وغيرهما** ـ

قلنا ما أبعد هذا القلب، فإنّ لَنَا معياراً فى التأويل وهو: أن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره علمنا ضرورة، أن المراد غيرُ ذلك، بشرط أن يكون اللفظ مناسباً له بطريق التجوز والاستعارة، ثم قال: فقدْ دل الدّليل على بطلان الاستواء والنزول، فإن ذلك من صفات الحوادث، فحُملَ على الاستيلاء وهو مناسب اللغة.

قلت : إن هذا التأويل لآية الاستواء، وحمله على الاستيلاء تأويل باطل، فليس لِلّه مغالبٌ على العرش حتى استولى عليه وغلب ذلك المغالب له، ـ بل هذا التأويل مخالف لنص القرآن الكريم الذى ورد فيه لفظ الاستواء فى سبعة مواضع، ولم يرد فى القرآن ولا فى موضع واحد لفظ الاستيلاء.

وقد ردّ إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله ـ على حمل الآية على هذا المعنى. حينما سأله سائل عن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا مبتدعاً، وأمر بإخراجه، ـ فلم يقل: الاستواء هو الاستيلاء، لأنه يعلم أنه ليس لله مغالب على عرشه سبحانه وتعالى، ولم يذهب لهذا التأويل أحد من سلف هذه الأمة، لا الصحابة ولا التابعون، ولا الأئمة الأربعة، وكلام الإمام مالك هو كلام أهـل السنة والجماعة قاطبة فى الرد على المؤولة ـ لا ما يقوله أصحاب التأويل الباطل إننا نرد ما دل نظر العقلِ على بطلانِه إذْ كيف نجعل العقلَ معياراً

لرد نصوص الكتاب والسنة والحكم عليها بالبطلان، فهل الله سبحانه وتعالى يخاطب عباده وينزّل عليهم كتابه بلغتهم التى يفهمونها، ويكون فيما يخاطبهم به باطل، إن هذا لبهتانٌ عظيم وفرية على الله ما أنزل بها من سلطان. فالله أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله ﷺ أعلم الخلق بالله وأخشاهم وأتقاهم لله، أفَيصفُ ربّه بما لا يليق به، أفيكون فى كلامه عن ربِّه باطل لا يليق بالله ويبقى الحال كذلك يعتقد المسلمون ذلك الباطل ـ حتى يأتي المتكلمون فينزّهون الله عمّا لا يليق بجلاله، من كلامه وكلام رسوله حسب زعمهم الباطل.

أيها المسلم : إن عقول البشر مختلفة ـ فما كان معقولاً عند هذا المؤول فهو مجهول وغير مقبول ولا معقول عند الآخر ـ ولهذا يجد القارىء فى كتب الفرق والمقالات أن كل فرقة ـ من المؤولة ـ تجعل عقلها معياراً تعرض عليه نصوص الكتاب والسنة ـ ثم تأخذ ما وافق هواها، فتجعله معقولاً، وما خالف هواها ردته وصرفته بالتأويل الباطل، وليس هذا معيار أهل الحق المؤمنين بالله واليوم الآخر عند الاختلاف، وإنما المعيار عندهم، هو الرَدُّ إلى كتاب الله العزيز وإلى سنة رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿. . . **فإن تَنَازعْتُم فى شيء فردوه إلى الله والرّسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا**﴾ [النساء/٥٩].

هذا هو المعيار الحق للمسلمين عند الاختلاف، وليس الردّ إلى عقول البشر، ولهذا نجد الإمام ابن القيم رحمه الله يتألم لأتباع هذه الملة المحمدية، ممّا حلَّ بها من التفرق، واختلاف الكلمة، والخصام، والشقاق، الذي حدث بينها، بسبب التأويل والتحريف، الذي هو منشأ تلك الضلالات فى الأديان كلها، ويبين أن أقطاب هذا الضلال، هم اليهود فهم أرباب التحريف والتبديل، وهم أساس كل فتنة فى العالم ـ ثم يخلص لبيان عصبية الوارثين لهم من طوائف هذه الملة.

فيقول : هذه الآفات إنما لقيها أهل الأديان من المتأولين، فالتأويل هو الذى فرّق اليهود إحدى وسبعين فرقة، والنصارى، اثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقةً.

قال : فأما اليهود، فإنهم بسبب التأويلات التى استخرجوها بآرائهم من كتبهم، صاروا فرقاً مختلفة، بعد اتفاقهم على أصل الدين والإيمان بما فى التوراة والزبور، وكتب أنبيائهم التى يدرسونها ويؤمنون بها، وبسبب التأويلات الباطلة مسخوا قردة وخنازير، وفارقوا حكم التوراة، فاستحلوا المحارم، وارتكبوا المآثم، وقتلوا الأنبياء، وهم مصدقون بالتوراة، وبموسى، وبالتأويل حلّتْ بهم المُثلات وقُطّعُوا فى الأرض أمماً، وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، وبالتأويل دفعوا نبوة عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما. إلى أن قال : وهم أئمة التأويل والتحريف والتبديل، والناس لهم فيه تبع، فلا تبلغُ فرقة مبلغُهم فيه، **وتحريفهم للحق، اما بالكتمان** إن أمكن ذلك، كما فى البشارات التى جاءت فى كتبهم عن صفة محمد ﷺ، وما **غلبُوا على كتمانه** حرفوا **لفظه** عن ما هو عليه، وما عجزوا عن تحريف لفظه حرفوا **معناه** بالتأويل.

ثم ذكر **نموذجاً مما حلّ بدين النصارى** بسبب التأويل والتحريف، فإن أول ذلك وقع فى التوحيد الذى هو عمود الدين، فإن سلف المؤولة **قالوا فى الربوبية بالتثليث**، وحديث **الأقانيم** الثلاثة، الأب، والابن، وروح القدس، ثم **اختلف من جاء بعدهم** فى تأويل كلامهم اختلافا تباينوا فيه غاية التباين، وإنما عرض لهم الاختلاف من جهة التأويلات الباطلة، إلى أن أصبح عبّاد الصليب أسوأ حالاً من اليهود، كما فتح لهم باب التأويل فى العمليات «بولس» فأبطلوا الختان، واستحلوا السبت واستباحوا الخنزير، وعطلو الغسل من الجنابة، حتى خرجوا من الدّين خروج الشّعر من العجين، هذا بعض الذى حلّ بدين النصارى.

أمَّا مَا أصاب أهل هذه الملّة من التأويل والتحريف، **فيقول ابن القيم** ـ وقد ورث هؤلاء أشباهُهُم من المنتسبين إلى الملة، فى هذه الأمور الثلاثة، يعنى ـ فى كتمان الحق ـ أو تحريف لفظ النص ـ أو تأويل معناه ـ وكان عصبةُ الوارثين لهم فى ذلك **ثلاثُ طوائف ـ الرافضة ـ والجهمية ـ والقرامطة** ـ فإنهم اعتمدوا فى النصوص المخالفة لضلالهم هذه الأمور الثلاثة، وهذا سيأتى الحديث عنه فى المبحث التالى إن شاء الله.

٢٥ـجـ ـ الوصية بحفظ كتاب الله من التحريف والتأويل والتبديل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فسنختم حديثنا فى هذا البحث عن الوصية بحفظ كتاب الله من التحريف والتبْديل الذى سلكه المفسدون عن طريق التأويل لنصوص كتاب الله وصرفها عن ظاهرها المراد منها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن أصل التأويل والتحريف للكتب السماوية من اليهود، ـ وقد نص الله فى كتابه الكريم على بعض أعمالهم فى هذا الجانب فقال تعالى: ﴿**فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون**﴾ [البقرة/ ٧٩].

وقد كانوا يعرفون، أن محمدا ﷺ هو النبي المبعوث المبشر به فى التوراة كما قال تعالى: ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**...﴾ ولكن حسدا وبغياً كتموا ذلك، وما غُلبوا على كتمانه حرفوه وبدلوه، فهم أساتذة الدنيا فى باب التحريف والتأويل، وقد ذكر ابن القيم ان عصبة الوارثين لهذا المنهج عن اليهود ثلاث طوائف من المنتسبين للإسلام، هم الرافضة، والقرامطة الباطنية، والجهمية.

وقد ذكرنا فى المباحث السابقة نماذج من تحريفات الباطنية، وفى هذا البحث سنشير إلى نماذج مما عملته الجهمية لتحريف آيات من كتاب الله، حيث أن أفكارها قد تسرَبَتْ إلى طوائف من فرق الأمة الإسلامية، فدخلت فى عقائد كثيرٍ من المسلمين وهم لا يشعرون، فنحن لا نتحدث عن تأريخ انتهى وإنما نتحدث عن واقع ننبه إليه طلاب العلم، ونذكره بدليله والذّكرى تنفع المؤمنين.

أيها المؤمن : إنما عرف فى كتب الفرق الإسلامية بطائفة الجهمية التى نفت عن الله سبحانه أسماءه الحسنى، وصفاته العلا، قد أخذت المعتزلة جانبا كبيراً من عقائدهم، ثم تسربت هذه العقائد، إلى كل من دخل فى باب التأويل لآيات الصفات، الواردة فى كتاب الله العزيز، وتأويل الصفات الثابتة فى سنة رسول الله ﷺ، فأثرت بمنهجها هذا فى عقائد المسلمين.

لأن أصول الإيمان الستة ـ وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وأصول الإسلام ـ أي ـ أركان الإسلام الخمسة : مبناها على تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

وقد عمد هؤلاء المؤولة، إلى أجلّ الأخبار وأشرفها، وهو ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وكماله، فأخرجوها عن حقيقتها التى فهمها مَنْ خُوطبوا بها عند نزول القرآن، فدعوا الله بها وسألوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، الرحمة والغفران.

وقالوا: إن هذه الصفات كلها مجازات لا تدل على حقيقة.

ولكن بحمد الله، فإن علماء الأمة الإسلامية، وقد ابتلوا بهؤلاء الذين أرادوا نشر ضلالهم لافساد عقائد المسلمين، بترويج أفكارهم عن طريق ما ادعوه من تنزيه لله عز وجل، لم يتركوهم وعبثهم هذا بعقائد المسلمين، بل وقفوا لهم بالمرصاد، وبينوا فساد أفكارهم، نصحاً للأمة، وحماية لعقائد المسلمين، وصيانة لكتاب الله من التحريف والتبديل، امتثالاً لوصية رسول الله ﷺ بكتاب الله الذى فيه المعتصم من الضلال، فقد روى **الترمذي** وغيره من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم،

وهـو الصراط المستقيم، وهـو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلِق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، وهو الذى لم تنته الجنُّ إذ سمعته حتى قالوا ﴿**إنّا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد**﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[1].

هذا وصف كتاب الله ممن لا ينطق عن الهوى، وهذه فوائد من عمل بما جاء فيه عقيدة، وعبادة، وحكما.

إن طالب الهدى فى غير القرآن والسنة، قد شهد الله ورسوله له بالضلال، فكيف يكون عقله الذى قد أضلّه الله مقدّماً على كتاب الله وسنة رسوله؟ قال تعـالى فى أرباب العقول التى عارضوا بها وحيه: ﴿**أفرأيت مَنِ اتّخذ إلهه هواه وأضلَّهُ الله على علم وختمَ علَى سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فَمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**﴾ [الجاثية/٢٣] وقال: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرقَ بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام/١٥٣].

وقـال فيمن قدم عقله على ما جاء به: ﴿**إن يتّبعُـون إلا الظّن وما تهوى الأنفسُ ولقد جاءهُم من ربّهمُ الهدى**﴾ [النجم/٢٣] والقرآن مملوء بوصف من قدم عقله على ما جاء فى كتاب الله ـ بالضّلال.

وفى مقابل هؤلاء، نجد أن أصحاب القرآن، العاملين به، المؤمنين بما جاء فيه، الذين لا يعارضونه بعقولهم وآرائهم، قد شهد الله لهم وكفى به شهيدا، بالعلم واليقـين والهـدى وأنهم على بصـيرة وبينة من ربّهم، وأنهم أولو العقول والألباب والبصائر وأن لهم نورا على نور، وأنهم المهتدون المفلحون قال تعالى: ﴿**الم ذلك الكتاب لَا ريبَ فيهِ هدىً للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاةَ ومِمّا رزقْناهُم ينفقون. والذين يؤمنونَ بِمَا أُنزلَ إليك وما أنزلَ من قبلكَ**

---

(١) الترمذي: فضائل القرآن ٨/٢١٨ ح ٣٠٧٠.

وبالآخرةِ هم يُوقنون. أولئكَ على هدىً مِن ربّهم وأولئك هم المفلحونَ﴾ [البقرة/١-٥].

ونشير هنا إلى بعض جهود علماء هذه الأمة فى الرد على هؤلاء، مع بيان الحق الذى يجب اتباعه إزاء نصوص الوحي، المتعلقة بأمور الغيب، وبصفات الله عز وجل، يقول ابن القيم:

إن هؤلاء المؤولة عمدوا إلى ما أخبر الله به عن نفسه فى كتابه، وهو أشرف أنواع الخبر، والإيمان به أصل الإيمان بما عداه، واشتمال القرآن بل والكتب الإلهية عليه أكثر من اشتمالها على ما عداه، وتنوع الدلالة بها على ثبوت مخبره أعظم من تنوعها على غيره، وذلك لشرف متعلقه وعظمته سبحانه وشدة الحاجة إلى معرفته، فكانت الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره.

وهذا من كمال حكمة الرّب تبارك وتعالى، وتمام نعمته وإحسانه، أنه كلما كانت حاجة العباد إلى الشيء أقوى وأتم، كان بذله لهم أكثر، وطرق وصولهم إليه أكثر وأسهل.

ثم ذكر أمثلة توضح هذا المعنى وتقربه للمستمع فيقول: وهذا فى الخلق، والأمر، فإنه لما كانت حاجة العباد - إلى الهواء أكثر من حاجتهم إلى الماء والقوت - كان الهواء موجودا معهم فى كل مكان وزمان.

ولما كانت حاجتهم بعد الهواء إلى الماء، إذ هو مادة أقواتهم ولباسهم وفواكههم وشرابهم، كان مبذولا لهم أكثر من غيره.

وكذلك حاجتهم إلى القوت لما كانت أشد من حاجتهم إلى الأبزار كان وجود القوت أكثر. وهكذا الأمر فى مراتب الحاجات.

وهذا لحفظ الأبدان من التّلف والهلاك.

ومن المعلوم أن حاجة العباد إلى معرفة ربّهم، وفاطرهم، ومعبودهم، جلّ جلاله فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنهم لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوا ربَّهم ويعبدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، ونهاية

مرادهم، وذكرُه والتقربُ إليه قرةُ عيونهم، وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيبُ عيشاً منهم فى العاجل، وأسلم عاقبة فى الآجل، لأنها - أيْ - الأنعام غير مكلفة.

وإذا عُلم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه ومحبته وعبادته والتقربُ إليه فوق كل ضرورة، ولذلك كانت طرق المعرفة فى كتاب الله بأدلته المتنوعة كانت أسهل الطرق وأهداها وأقربها، وبيان الربّ تبارك وتعالى لها فى كتابه فوق كل بيان، وهكذا كان سلوك الصحابة ومعرفتهم لكتاب الله الذى نزل بلغتهم، ومن بعدهم أتباعهم إلى أَنْ ذَرّقرنُ التأويل، الذى سلطه ورثة اليهود على نصوص كتاب الله، فأبعدوا الناس عن دينهم، وفرقوا كلمتهم، وأصبحوا شيعاً وأحزابا وانقسموا إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما أخبر رسول الله ﷺ، وقد أخبر عليه السلام أن الفرقة الناجية من تلك الفرق واحدة، وحينما سئل عنها قال: هي من كانت على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

نسأله تعالى أن يجعلنا من تلك الفرقة، وأن يهدى ضال هذه الأمة إلى طريق الحق والصواب، وأن يجمع كلمة الأمة على الحق إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٦ ـ وصية رسول الله ﷺ بتقوى الله ـ والصلاة ـ وذكر الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد جاء فى وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه الوصية بتقوى الله عز وجل، وبتلاوة القرآن الكريم، وذكر الله **حيث قال** : أوصيك **بتقوى الله** فإنها زينة لأمرك كله، وعليك **بتلاوة القرآن وذكر الله** فإنه ذكر لك فى السماء، ونور لك فى الأرض.. الخ. كنز العمال ١٥/ ٩٠٩.

وأخرج ابن ماجه فى كتاب الوصايا ٢/ ح ٢٦٩٧، ٢٦٩٨، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: الصلاة وما ملكت أيمانكم.

وفى مسند الإمام أحمد ٥/ ١٧٣ ـ عن أبي ذر قال: أوصانى حبيبى بخمس: أرحم المساكين وأجالسهم، وأنظر إلى من هو تحتى ولا أنظر إلى من هو فوقى وأن أصل الرحم وان أدبرت، وأن أقول الحق وان كان مراً، وأن أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلم : إذا تأملنا هذه الوصايا العظيمة التى نطق بها رسول الهدى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى نجدها قد جمعت الخير كله، فالمجتمع المسلم فى حاجة ماسة إلى العمل بها فبتقوى الله وذكره، وتلاوة كتابه تَحْيَ القلوب وتزكوا النفوس، ألا بذكر الله تطمئن القلوب. فمن اتقى الله خاف عقابه، ومن خاف عقاب الله أدَّى ما أوجبه الله عليه من الحقوق لربه، وما أوجبه الله عليه لعباده، فلا يظلم أحدا ولا يخونه، وهذا يوضح للمسلم أنه لا صلاح للمجتمع إلا بالعمل بوصايا رسول الله ﷺ وهديه، فإنها جامعة لسعادة الدنيا والآخرة، لأنك إذا تأملت أول وصية نبوية لأبي ذر تجدها وصية الله عز وجل للأولين والآخرين ألا وهي الوصية «بتقوى الله عز وجل» فالله يقول: ﴿**وَلقد وصَّينا الذين أوتُوا الكتاب من قبلكم وإيَّاكم أنِ اتّقُوا الله**... ﴾ [النساء/١٣١].

أيها المسلم : لقد سبق حديثنا عن التقوى فى مبحث سابق من هذه الوصايا. ولكن بمناسبة ورودها فى هذا الحديث النبوي الشريف فسنشير إلى نقاط منها تذكيراً بها، ثم ننتقل إلى الحديث عن الوصايا الأخرى الواردة فى هذا الحديث.

إن تقوى الله عز وجل هي جماع الخير كله، وهي خير زاد المسلم فالله يقول فى كتابه الكريم: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**﴾ [البقرة/١٩٧].

وهي السعادة للمرء عاجلا وآجلا ـ لأنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وذلك جامع لشرائع الإسلام كلها فرائضها، ومندوباتها ومباحاتها.

يقول الشاعر :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكن التقيّ هو السعيدُ
وتقوَى الله خيرَ الزَّادِ ذخراً ... وعند الله للأتْقَى مزيدُ

وحسبنا هنا أن نشيرَ إلى مكانة التقّوى وعُلوّ منزلة المتقين عند الله تعالى كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿**الم ۰ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ۰ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمونَ الصلاةَ ومِمَّا رزقْناهُم ينفقون ۰ والذينَ يؤمنونَ بما أُنزَلَ إليك وما أُنزلَ من قبلك وبالآخرةِ هم يُوقنونَ ۰ أولئكَ على هدىً من ربِّهم وأولئكَ هُمْ المفلحون**﴾ [البقرة/١ـ٥].

فهذه الآيات تضمنت عددا من صفات المتقين، منها إيمانهم بالغيب، وإقامتهم الصلاة، وإنفاقهم فى سبيل الله مما رزقهم الله، ثم إيمانهم بما أنزل الله على رسله جميعا، وبما أنزل على محمد ﷺ، ويقينهم الذى لا يشوبه شك باليوم الآخر، أي يوم القيامة يوم البعث والجزاء فهؤلاء هم المفلحون لأن الإيمان بالغيب، هو مناط الإيمان وحقيقته، وهو التصديق الجازم بجميع ما أخبر الله به فى كتابه عن نفسه وعن أسمائه وصفاته، وما أخبر به عن الأمم الغابرة وعن أنبيائه

ورسله وما ناله المصدقون لرسله وأنبيائه من الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة، وما نال المكذبون لهم من هلا ك وخسران.

والإيمان بأن الله هو الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنه هو وحده المستحق للعبادة دون سواه، والإيمان بجميع ما أخبر الله به فى كتابه من الإيمان بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وما فيه من جزاء المتقين المحسنين من النعيم العظيم. وما أعده لأعدائه المنافقين والكافرين من العذاب الأليم.

أما الوصية التى سيكون الحديث عنها ـ فهي الوصية بالصلاة، لأنها الركن الثانى من أركان الإسلام وسنتحدث عنها فى حلقات وذلك لأهميتها في حياة المسلم، ولهذا فقد ورد فى هذه الآيات الكريمة ـ وصف الله للمتقين ـ بإقامتهم الصلاة، وقد كان رسول الله ﷺ يوصى بالمحافظة عليها حتى فى آخر حياته، فقد أخرج ابن ماجه فى كتاب الوصايا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: الصلاة وما ملكت أيمانكم[1]. وفى مسند الإمام أحمد ـ الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم[2].

وذلك الحضُّ عليها من رسول الهدى حتى فى آخر لحظة من حياته، لأهميتها فى حياة المسلم العملية فهي الصلة بين العبد وربه، ولأنها تنهى من يقيمها ويحافظ عليها عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿**أُتلُ ما أوحِيَ إليكَ من الكتاب وأقِمِ الصلاةَ إنَّ الصلاةَ تَنْهَى عنِ الفحشاءِ والمنكرِ ولَذِكرُ اللّهِ أكبَرُ واللّهُ يعلَمُ ما تصنعونَ**﴾ [العنكبوت/٤٥].

ولما يحدث فيها من تقصير سواء فى أدائها على وجهها، أو التهاون بها وتأخيرها عن وقتها المحدد لها، أو التساهل والتكاسل عن أدائها، أو جحدها وإنكار وجوبها، وكل ذلك داخل فى تضييعها ـ لأن من حفظ صلاته وحافظ عليها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

---

(١) ابن ماجه: ٢/٢٦٩٨.

(٢) المسند: ١/٧٨.

ولهذا فسيكون حديثنا فى هذه الحلقة والتى تليها عن الصلاة لوصية رسول الله ﷺ بها والحضّ عليها فى آخر لحظة من حياته.

أيها المسلم : إن الصلاة عماد الدين، فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فلا شك إنه سيضيع أركان الإسلام الباقية، من زكاة وصوم وحج.

ولأهمية الصلاة، وهي الركن الثانى من أركان الإسلام، فقد كانت أول فريضة فرضت على الأمة، بعد الشهادتين، ولمكانتها من أركان الإسلام الخمسة التى بُني عليها الإسلام، فقد فرضت على رسول الله ﷺ وأمته فى السماء ليلة الإسراء والمعراج، كما فى قوله تعالى: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**. . .﴾ [الإسراء/١].

وقد روى مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حديث الإسراء والمعراج وفيه ـ فعرجَ به ﷺ حتى جاء سدرة المنتهى، فأوحَى اليه ما شاء الله، فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فقال: يامحمد: ماذا عهد إليك ربك، قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع. فإني قد راودت بني إسرائيل قومى على أدنى من هذه، فضعفوا فتركوه. فارجع فليخفف عنك وعنهم، ولازال يتردد بين موسى وبين ربه حتى جُعلت الخمسينَ خمساً فى العمل، وخمسون فى الأجر حيث قال الله تعالى فى هذا الحديث: لا يبدل القول لدي، هي كما كتبت عليك فى أم الكتاب، ولك بكل حسنة عشر أمثالها وهي خمسون فى أم الكتاب وهي خمس عليك[1].

إن هذه الصوات الخمس التى فُرضت ليلة الإسراء والمعراج، قبل الهجرة بستة عشر شهرا، قد ثبت عن رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم: الإيمان ـ الإسراء برسول الله. . . ، ١/١٤٨ ح ٢٦٢.

إن جبريل عليه السلام نزل صبيحة الإسراء والمعراج فصلى برسول الله ﷺ هذه الصلوات الخمس بعددها وهيئاتها وركوعها وسجودها فى أول الوقت.

وفى اليوم التالى نزل فصلى به تلك الصلوات فى آخر الوقت. ثم قال له: الصلاة بين هذين الوقتين[1].

والله تعالى يقول فى كتابه: ﴿**فإذا قَضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاةَ كانتْ على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾ [النساء/١٠٣].

أيها المسلم: إن التهاون فى أداء هذه الصلوات، قد ورد فيه الوعيد الشديد، كما فى قوله تعالى: ﴿**فَخَلفَ من بعدِهم خلْفٌ أضَاعُوا الصلاةَ واتّبعوا الشهواتِ فَسوفَ يَلقونَ غيًّا**﴾ [مريم/٥٩].

وإن كثيرا من الناس يتهاونون فى أداء الصلاة فى وقتها، ومنهم التارك لها تهاوناً أو كسلاً ومنهم الجاحد لوجوبها وسنتحدث عن ذلك فى الوصية التالية إن شاء الله.

---

(١) البخاري: المواقيت، فتح الباري ٢/٣ ح ٥٢١. ومسلم: المساجد، ١/٤٢٥ ح ١٦٦.
• فتح الباري ٢/٤.

٢٧-أ ــ الوصية بالصــلاة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق حديثنا عن الوصية بتقوى الله ، وهي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى : ﴿**ولقد وصينا الذين أُتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتقوا الله . . .**﴾ [النساء/١٣١].

وهي الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة، لأن جماعها، امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

كما تحدثنا عن **الوصية بالصلاة** لأنها من صفات المتقين، وهي الركن الثانى من أركان الإسلام .

وقد ورد الأمر بها والحثّ عليها فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعرفنا أن من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضَيَّعها ، فهو لما سواها من أمور دينه أضيع ، وسيعيش عيشة ضنكاً، لأنه معرض عن ذكر الله عز جل ، والله تعالى يقول: ﴿**ومَن أعرضَ عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونحشرهُ يومَ القيامةِ أعمى**﴾ [طه/١٢٤].

إن من يضيع الصلاة يخسر نفسَهُ ، إذ لا قيمة له فى مجتمعه الذى يعيش معه فلا يستطيع أن يؤدي شهادة بين اثنين ، لأنه فاقد العدالة ولا يطلب منه أمر يقوم به للاصلاح بين مختلفين ، ولا يكون له أي اعتبار ، لأنه ممن قال الله فيهم : ﴿**فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتّبعُوا الشهواتِ فسوفَ يلقون غَيًّا**﴾ .

وقد وردت هذه الآية بعد الثناء على الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ، ومِمنْ حُملوا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ، وممن هداهم الله واجتباهم كما قال تعالى : ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم**

وممن حملنا مع نوحٍ ومن ذريّةِ إبراهيم وإسرائيل ومِمَّنْ هَدَينا واجتبينا إذا تُتلَى عليهم آيـاتُ الرَّحْمنِ خرُّوا سجداً وبُكِيًّا • فَخلَف مِنْ بعدهم خَلْفٌ أضاعُوا الصلاة واتّبعُوا الشهوَاتِ فَسوفَ يَلْقونَ غَيًّا﴾ [مريم/٥٨، ٥٩].

أيها المسلم : إن الخلْف ـ بإسكان اللاَّم ـ هو الشيء الردىء ـ أيْ خَلَف أولئك الذين أنعم الله عليهم ـ أولاد سوء ـ فالآية تعبّر عن هذا الخلْف السيِّء الـذى خَلَف من بعـدِ أولئـك النبيين الكـرام. فكان من صفات هذا الخلف القبيحة، أنهم أضاعوا الصلاة، واتّبعوا الشهوات.

وإذا نظرنا لأقوال العلماء فى **إضاعةِ الصلاةِ** نجدها تشمل الأمور التالية :

١ ـ تأخيرها عن وقتها ـ لأن الله يقول: ﴿ . . . **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾ [النساء/١٠٣].

٢ ـ أو الإخـلال بشروطها ـ ومنها الطهارة ـ فقد جاء فى الصحيح قوله ﷺ : «ويل للأعقاب من النار».

٣ ـ أو التكاسل والتسَّاهل فى أدائها، من غير جحد لوجوبها.

٤ ـ أو جحد لوجوبها.

٥ ـ أو عدم أدائها فى الجماعة وتعطيل المساجد التى بُنيت لأدائها.

إن كل ما ذكره العلماء إضاعة للصلاة وإن كانت أنواع الإضاعة تتفاوتُ، فليس المؤخّر لأدائها كالجاحدِ لوجوبها.

ولكن قد ورد فى كل ذلك وعيد شديد فى الكتاب العزيز وفى السنة النبوية. وقبـل الحـديث عن الوعيد الشديد للمضيعين للصلوات، نذكر الثناء العظيم والوعد الكريم للمحافظين عليها.

أيها المسلم : إن الله قد أثنى على المؤمنين المحافظين على الصلاة الخاشعين فيها فقال: ﴿**قد أفلح المؤمنونَ • الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ـ إلى قوله ـ **والـذينَ هُم على صَلَواتِهم يحافظونَ • أولئِكَ هُمُ الـوارثـونَ. الذينَ يَرِثُونَ الفردوسَ هُم فيها خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون/١-١١].

كما قال تعـالى فى وصف المحـافظين على صَلَواتِهم: ﴿**إن الإنسانَ خُلق هلوعاً • إذا مسَّهُ الشرُّ جزوعاً • وإذا مَسَّهُ الخيرُ منوعاً • إلاَّ المصلّين: الذينَ هُم على صلاتِهم دائمونَ**... إلى قوله: **والذينَ هم على صلاتِهم يحافظونَ • أُولئك فى جنّاتٍ مكرمونَ**﴾ [المعارج/١٩-٣٥].

إن هذه الآيات الكريمة تحدثنا عن جزاء المصلين، الخاشعين فى صلاتهم المحافظين عليها، بأن جزاءهم الجنة التى أعدها الله لعباده المتقين.

وإذا كان هذا جزاء المحافظين على صلَواتِهم المؤدّين لها فى أوقاتها كما قال تعالى فى وصفهم: ﴿**رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة**﴾ [النور/٣٧].

فإنه قد ورد الوعيد الشديد لمن ضَيّع الصلاة بأيّ نوع من تلك الأنواع التى ذكرت فى إضاعتها، وفى نفس الوقت يتبع المضيعُ لها شهواته واسم الشهوات عام فى كل ما يُشتهى ويصد عن ذكر الله والصلاة، وإن من ارتكب ذلك فسوف يلْقَ جزاءً غاية فى الشدة كما قال تعالى: ﴿**فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقوْن غيًّا**﴾.

والغيّ - يُطلق على كل شرّ ومنه الضلال، كما أن الرشاد يُطلق على كل خير، فالآية الكريمة تشير إلى أن هؤلاء سيلقونَ جزاء ضلالهم بتضييعهم للصلاة، واتباعهم لشهواتهم.

قال ابن عباس وغيره - فسيلقون غيًّا - أي - شرا أو ضلالا، أو خيبة.

ورُوي عن ابن مسعود والبراء بن عازب، وعائشة أمُّ المؤمنين:

أن غيًّا - وادٍ فى جهنم من قيحٍ، لأنه يسيل فيه قيح أهل النّارِ وصديدُهم، وهو بعيد القعر خبيث الطّعم.

وأقوال العلماء من الصحابة ومن جاء بعدهم كلها متفقة على أن المضَيّعين للصلاة المتبعين للشهوات سوف يلقون يوم القيامة عذابا عظيماً.

أيها المسلم : قد أشرنا فى أول هذا الحديث إلى أن تضييع الصلاة يشمل أنواعا وسنتحدث عن أحكام تلك الأنواع جميعاً إن شاء الله ـ ونبدأ بذكر الوعيد الشديد على أخفّ تلك الأنواع، **ألاَ وهو تأخير الصلاة عن وقتها** .

قال تعالى : ﴿**فويلٌ للمصلينَ • الذينَ هم عن صلاتهم ساهونَ • الذينَ هُم يراءُونَ ويمنعون الماعون**﴾ وَوَيل كلمة عذاب أو وادٍ فى جهنم، توعد الله به الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

فقد أخرج ابن جرير بإسناده فى تفسير الآية، عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت رسـول الله ﷺ عن : ﴿**الذينَ هُم عن صلاتهم ساهون**﴾، قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

يقـول ابن كثـير : وتـأخير الصلاة عن وقتها، يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها ـ المحدد لها ـ شرعا، أو تأخيرها عن أول الوقت حتى ضاع الوقت. فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي كما ثبت فى صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق ـ ثلاثاً ـ يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا[1] .

وقـد بين تعـالى ان ذلـك التكـاسل عن الصلاة والمراءات فيها من عمل المنافقين فقال فى ذمهم : ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾ [النساء/١٤٢].

وقال تعالى : ﴿**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاةَ إلا وهم كسالى ولا ينفقونَ إلا وهم كارهون**﴾ [التوبة/٥٤].

---

(١) مسلم: المساجد، ٢/٤٣٤ ح ١٩٥، ١٩٦.

• ابن كثير: فى التفسير ٨/٥١٥.

أيها المؤمن : احرص على أداء ما افترض الله عليك واجعله صلة بينك وبينه، وهي هذه الصلوات الخمس التى من أدّاهَا في وقتها بأركانها وشروطها نال أجر خمسين صلاة، ولا تكن ممن يؤخرها عن وقتها المحدد لها كما فى قوله : ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾ قال ابن مسعود : إن للصلاة وقتا كوقت الحج . فتعرض نفسك لذلك الوعيد الشديد وهو الويل الذى جاء وصفه بأنه وادٍ فى جهنم قعره بعيد، ولا تكن من المرائين فإن ذلك وصف المنافقين، فهم الذين يراءون فى صلاتهم، ويمنعون الماعون .

قال ابن كثير : أي ـ لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم .

أما المصلون المحافظون على صلواتهم، فهم المحسنون المسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون .

نسأله تعالى أن يجعلنا منهم، وإلى الحديث عن نوع آخر من أنواع تضييع الصلاة، وبيان الوعيد على ذلك .

٢٨ ـ الوصيـــة ـ بالصـــلاة

الحث على أداء الصلاة جماعة وبيان وعيد من تهاون فى ذلك

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق الحديث عن المحافظة على الصلاة المفروضة فى أوقاتها لقوله تعالى: ﴿. . . **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾.

وذكرنا فى ذلك ما وعد الله به عباده المحافظين على صلاتهم المؤدين لها فى أوقاتها من الجزاء العظيم وهو جنة الفردوس التى فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ذكرنا ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وعيد شديدٍ للذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها، وقد تبين لك أيها المسلم ان ذلك من صفات المنافقين، لقوله تعالى فى وصفهم: ﴿**وإذَا قامُوا إلى الصلاةِ قَامُوا كسالى يراءُون الناس ولا يذكرونَ الله إلا قليلاً**﴾ [النساء/١٤٢].

ولما ثبت فى صحيح مسلم من قوله ﷺ: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[(١)].

أيها المسلم : إن أداء الصلاة جماعة فيه فضل كبير وأجر عظيم ففى **الصحيحين** عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[(٢)].

---

(١) مسلم: المساجد، ٢/٤٣٤ ح ١٩٥ وتقدم.

(٢) مسلم: المساجد، ١/٤٥٠ ح ٢٤٩.

وفى **الصحيحين** أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل فى جماعة تفضل على صلاته في بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك لأنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة فإذا صلَّى لم تزلْ الملائكة تُصلى عليه مادام فى مصلاه ـ تقول ـ اللهم صلّ عليه اللَّهُمَّ اغفر له، اللهم ارحمه ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة[1]. رواه البخاري ومسلم.

فاسمع أيها المسلم هذا الفضل الكبير والأجر العظيم، والذكر الجميل الذى يناله من حضر صلاة الجماعة.

إن أداء الفريضة فى المسجد لا يأخذ من وقتك أكثر من عشرين دقيقة، واليوم والليلة أربع وعشرون ساعة لأعمالك الدنيوية، في تجارتك، فى صنعتك، فى وظيفتك ـ ولكن العاقل يوازن بين الربح والخسارة، وبين المال المدّخر لوقت الحاجة، وبين المال المستهلك والله سبحانه قد أثنى على الذين لا تلهيهم تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة فقال تعالى: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاةِ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ [النور/٣٧].

وأنت ليس لك من زمنك المدَّخَر لذلك اليوم ـ إلا تلك الدقائق والساعات التى تشتغل فيها بأداء الصلاة وذكر الله. فاحرص عليها كما تحرص على دنياك، فهي المال المدّخر ليوم الحاجة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

فانظر إيها المسلم إذا ذهبت للمسجد لأداء ما افترض الله عليك، لهذا العطاء الجزيل خطوة من مشيك، ترفع بها درجة، وتحط عنك خطيئة، ثم تصلى عليك الملائكة، أي ـ تدعو لك وتطلب من الله أن يغفر لك وأن يرحمك مادمت فى مصلاك، ومادمت تنتظر الصلاة.

ثم إن صلاتك هذه تضاعف لك سبعا أو خمسا وعشرين ضعفاً.

---

(١) مسلم: المساجد، فضل صلاة الجماعة، ١/٤٥٩ ح ٢٧٢.

أيها المسلم المؤمن بلقاء ربّه، إن التاجر فى الدنيا صاحب البيع والشراء لكسب المال، إذا قيل له إن سلعتك هذه، إذا بعتها هنا فستحصل على مائة ريال، أو مائة دينار، أو مائة دولار، أو مائة جنيه، أيْ عملة البلد التى أنت فيها لكن إذا ذهبت إلى ذاك المكان الذي يبعد عنك من مكانك هذا كيلو واحد، فستبيع سلعتك هذه بدل المائة ـ بألف وسبعمائة مع ميزات أخرى، تحصل عليها هدايا وجوائز. أليس سيذهب لذاك المكان مسرعاً ـ إن هذا هو الواقع، وهذا المال سيفنى، وإن لم يفن فسيترك للورثة ـ لأن كل نفس ذائقة الموت، كما قال تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ [آل عمران/ ١٨٥]. إن الأجر سيبقى لك وتوفاهُ يوم القيامة كاملاً غير منقوص، وهو ما أدّيتَاهُ لله فى تلك الدقائق المعدودات فى أداء تلك الصلاة المفروضة جماعة فى المسجد مع جماعة المسلمين.

وانظر أيها المسلم ـ الجزاء المقابل لمن ترك صلاة الجماعة، وان الترك لأداء الصلاة جماعة هو من صفات المنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون فى سبيل الله إلا وهم كارهون، ولهذا لم تقبل منهم نفاقتهم تلك لأنها ليست خالصة لوجه الله تعالى، والله لا يقبل إلا العمل الخالص «ألا لله الدين الخالص».

وإليك أولاً ـ ما جاء عن رسول الهدى، فى وصف المتخلف عن صلاة الجماعة، وفى الجزاء الذى يستحقه على ذلك.

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أثقل الصلاة على المنافقين، صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممتُ أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً، فيصلى بالناس، ثم انطلق معى برجالٍ معهم حُزم من حطب إلى قَومٍ لا يشهدون الصلاةَ فأحّرقَ عليهم بيوتهم بالنار[1].

---

(١) مسلم: المساجد، ١/ ٤٥١ ح ٢٥٢.

إن هذا الحديث النبوي الشريف واضح فى بيان أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين، كما فى قوله تعالى: ﴿**ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالَى يراءون الناسَ ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾ [النساء/١٤٢]. ولكنّ أثقلها عليهم صلاة العشاء، وصلاة الفجر، وذلك لأن وقتَهُما وقتَ الاخلاد إلى الراحة من جهة، ولكون المنافق ولو نفاقاً عمليا، لا يؤدي أيَّ عمل يتعلق بالدين من صلاة وغيرها إلا رياءً فهم يراءون الناس بأعمالهم ولا يذكرون الله إلا قليلاً وفى صلاة الفجر والعشاء لا يراهما أحد، ومن أجل ذلك فهم لا يحرصون على أدائهما فى المسجد مع جماعة المسلمين ـ ورسول الهدى ﷺ يؤكد إنهم لو كانوا يعلمون ما فيهما من الأجر والثواب لما تأخروا عن أدائها جماعة فى المسجد ولو كان فى وصولهم إلى المسجد مشقة، ولهذا قال: ولو يعلمون ما فيهما ـ أي ـ من الأجر والثواب الجزيل عند الله يوم القيامة ـ لأتوهُمَا ولو حبواً. ـ وعلى المسلم أن يبعد نفسه عن صفات المنافقين، فلا يعطي للنفس هواها وشهواتها فإنها أمّارة بالسوء فإذا دعته مع الشيطان المسوس إلى الراحة، وإن الصلاة يمكن أداءها فى البيت ولا حاجة للذهاب إلى المسجد لبعده، ولشدة البرد أو الحر فليذكر ـ إن النار فى الآخرة أشد حرًّا. ثم ليتذكر قول رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الذى أكد فيه وجوب صلاة الجماعة حيث قال: ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس، ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار.

وفى رواية: لولا ما فيها من النساء والذرية.

إن هذا الحديث والأحاديث الأخرى الواردة فى هذا الباب تؤكد للمسلم وجوب صلاة الجماعة، إلا من عذر كمرض وغيره من الأعذار التى تسقط بها صلاة الجماعة ـ أيها المسلم حافظ على صلاتك فهي الصلة بينك وبين ربك، وأدها جماعة كما أمر رسول الله ﷺ، بذلك تحفظ دينك وتطيع أمر رسولك، نسأل الله الكريم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

٢٩ ـ الوصية بالصلاة، والخطر على تاركها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن الوصية ـ بالصلاة ـ التي هي الركن الثانى من أركان الإسلام، والتى قال عنها رسول الله ﷺ: من حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وكان الحديث السابق عن وجوب صلاة الجماعة، لأن رسول الله ﷺ كما فى الحديث الصحيح، قد هم بعقوبة المتخلفين عنها ـ بإحراق بيوتهم عليهم بالنار لولا ما فى البيوت ممن لا تجب عقوبتهم ـ كالنساء والذرية ـ ومعلوم إن هذه العقوبة التى همّ بها لا تكون على أمر غير واجب عليهم أداؤه ـ كما يتداوله كثير من الناس من قولهم ـ إن صلاة الجماعة سنة ـ فيفهم السامع من هذا التعبير ـ ان السنة يُثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها ـ ولكن الأمر ليس كذلك فليس المقصود من لفظ السنة هنا ما يقابل الواجب عند الفقهاء، كصلوات النوافل، وصوم التطوع ـ يثاب الفاعل، ولا يعاقب التارك ـ وإنما المقصود ـ إن صلاة الجماعة سنّة من سنن الهدي ـ كما قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فى صلاة الجماعة ـ إنها من سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم)[1].

ولذلك فقد حافظ عليها رسول الله ﷺ طول حياته، وخرج إليها يهادَى بين رجلين.

وكذلك كان أصحابه، ومن تبعهم بإحسان يسلكون مسلك رسول الله ويتبعون هديه.

---

(١) مسلم: المساجد، ١/٤٥٣ ح ٢٥٦، ٢٥٧.

ومن هنا شدد عليه الصلاة والسلام على المتخلفين عنها، وبين انه لا يتخلف عنها إلا منافق. وهمّ بإحراق بيوت المتخلفين عليهم.

وإنه مما يؤسف له، أن يحدث التساهل فى أداء صلاة الجماعة ـ لاسيما صلاة العشاء والفجر أكثر ممن ينتسبون إلى طلاب العلم، فيقتدى بهم العامة، ظَنًّا منهم أنه لا شيء فى ترك صلاة الجماعة ـ فيخشى على هؤلاء ـ أن يحملوا إضافة إلى تقصيرهم فى أداء صلاة الجماعة ـ إثْمَ من يُقلدهم.

أيها المسلم : إن ما سمعته من وعيد فى الأحاديث السابقة ـ هو فى حق الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وفى المتهاونين فى أدائها فى المساجد جماعة مع المسلمين. ولكن ما حكم من تركها كليةً، فلم يصلّهَا لا جَماعةً مع إخوانه المسلمين فى المساجد، ولا منفردا متخلفاً فى بيته ـ إما كسلاً وتهاوناً مع اعترافه بوجوبها وإنها فرض عليه، وإما جاحدا لوجوبها.

إن ترك الصلاة من العظائم، لأنه ترك لركن من أركان الإسلام التى بني عليها، بل إنها الرّكن الثانى من أركان الإسلام ـ كما فى حديث عبدالله بن عمر الذى رواه البخاري، فى كتاب الإيمان، قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمسٍ، شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدا رسول الله، **وإقامِ الصلاة**، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان[1].

إن ترك الصلاة، وهي الركن الثانى من أركان الإسلام التى بني عليها، هدم لهذا البنيان، ولهذا أجمع العلماء على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر، وإنه يقتل كفرا ما لم يتب.

وأما تارك الصلاة عمداً تهاونا وتكاسلاً، مع اعترافه بوجوبها، فيرى كثير من العلماء إنه كافر مرتد يستتاب، فإن تاب فذلك، وإن لم يتب قتل كفرا، روى ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) البخاري: الإيمان، فتح الباري ١/ ٤٩ ح ٨.

وبه قال الإمام أحمد وابن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين**﴾ [التوبة/١١].

فيفهم من الآية أنهم إن لم يقيموا الصلاة، لم يكونوا من إخوان المؤمنين، ومن انتفت عنهم أخوة المؤمنين فهم من الكافرين لأن الله يقول: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ ولما رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة[1].

فهذا الحديث واضح الدلالة، في أن تارك الصلاة كافر، لأن عطف الشرك على الكفر فيه تأكيد قويّ لكونه كافرا.

ومما يؤكد أن ترك الصلاة كفر، ما ورد فى حديث أم سلمة، وحديث عوف بن مالك المتفق عليهما، فقد اتفق البخارى ومسلم على إخراجهما ـ وهما يدلان على إنه لا يجوز قتال الأمراء ولا الخروج عليهم مهما ارتكبوا من معاص، إلا أن يكون كفراً بواحاً فيه من الله برهان، كما جاء فى حديث عبادة بن الصامت الذى أخرجه البخارى فى كتاب الفتن وفيه، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان[2]، وقد قال ابن حجر فى فتح الباري، فى شرح هذا الحديث، فى كتاب الفتن ـ أيْ يكون ما ارتكبوه كفراً صريحا بنص آية أو حديث لا يحتمل التأويل ـ ومن ذلك ترك الصلاة.

فقد ورد فى حديث أم سلمة وعوف بن مالك ـ قوله ﷺ: انه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن منْ رضِيَ وتابع، قالوا: يارسول الله، أَلاَ نقاتلهم؟ قال: لا. ما صلوا[3].

---

(١) مسلم: الإيمان ١/٨٨ ح ٨٢.

(٢) البخاري: الفتن، فتح الباري ١٣/٥ ح ٧٠٥٦.

(٣) مسلم: الامارة، ٣/١٤٨٠ ح ٦٢، ٦٣.

أي ـ لا تقاتلوهم مدة كونهم يصلون، ويفهم منه ـ أنهم إن لم يصلوا قوتلوا، فدل على أن ترك الصلاة كفرا بواحا عليه من الله برهان كما فى حديث عبادة بن الصامت السابق.

وقد أخرج الإمام أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر[1].

وروى الحاكم فى المستدرك، عن أبي هريرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ: لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

وروى الترمذى فى كتاب الإيمان بإسناد صحيح عن عبدالله بن شقيق العقيلى التابعي المتفق على جلالته قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[2].

إن هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين فيها الدلالة الواضحة على أن ترك الصلاة عمداً تهاوناً كفرٌ.

ومما يوضح ذلك ويؤكده ما رواه الإمام أحمد والطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال: من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف.

وهذا الحديث واضح الدلالة على كفر تارك الصلاة لأن انتفاء النور والبرهان والنجاة، ثم الكينونة مع فرعون وهامان وقارون تدل على ذلك، لأن الله قال عن

---

(١) الترمذي: تحفة الأحوذى، أبواب الإيمان/ ما جاء فى ترك الصلاة، ٣٦٨/٧ ح ٢٧٥٦، قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذى، ما جاء فى ترك الصلاة، ٣٧٠/٧ ح ٢٧٥٧.

فرعـون وقومه: ﴿**النّار يعرضون عليها غدواً وعشيًّا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ [المؤمن/٤٦].

أيهـا المسلم: إن ترك الصـلاة من نواقض الإسـلام الفعلية. والصـلاة لا تكلفك شيئاً، ولا تأخذ من وقتك كثيراً، بل إن فى القيام بها وأدائها فى أوقاتها راحة للنفس، وطمأنينة للضمير، ميسرة للأمور، ضامنة للرزق فقد كان رسول الهدى ﷺ - إذا حز به أمر فزع للصلاة. والله تعالى يقول مخاطباً نبيه وهو خطاب للأمة جميعا: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقين**﴾ [طـه/١٣٢].

٣٠ ـ الوصية بتلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق فى المباحث الماضية عن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه بتقوى الله والصلاة، وحديثنا سيكون عن الوصية بتلاوة القرآن، والقرآن كلام الله الذي أنزله على محمد عبد الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿**تبارك الذى نَزَّلَ الفرقانَ على عبدهِ ليكُونَ للعالمين نَذِيراً**﴾ [الفرقان/١].

وذلك لأن تلاوة القرآنِ تَحثُّ المسلم على تقوى الله وذكره سبحانه وتعالى، ثم إن تلاوة القرآن أحبُّ ما عُبد الله به، وأحسن عمل يتقرب به العبد إلى ربه فقد روى الترمذي وصححه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الـم، حرف ولكن **ألف** حرف، **ولام** حرف، **وميم** حرف(١).

وقد سبق فى المباحث الماضية أيضا إيراد الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه وفيه قوله ﷺ: أيعجز أحدكم أن يكسب فى اليوم ألف حسنة فقال السائل: وكيف يكسب أحدُنا ألفَ حسنةٍ، فقال: يسبّح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة، وتحط عنه ألف سيئة(٢).

وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها.

فهذه الحسنات فى التسبيح.

---

(١) الترمذي: تحفة الأحوذي، ما جاء فى من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، ٨/٢٢٦ ح ٣٠٧٥، وقال: حسن صحيح.

(٢) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٧٣ ح ٣٧.

وهذا الحديث فى تلاوة القرآن فيه التصريح بأن قارىء القرآن له بكل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ولما كان الحرف فيه يطلق على المتركبة من حروف، أوضح النبي ﷺ أن المراد هنا الحرف البسيط المنفرد، لَا الْكَلمَةَ ـ ولهذا قال: لا أقول: الـم، **حرف** ـ ولكن **أَلِف** حرف، **ولام** حرف، **وميم** حرف.

فهذه الكلمة من كتاب الله عز وجل «الم» تكسب بها أيها المستمع الكريم ثلاثين حسنة، وهذا أجر عظيم وثواب كبير، فكم هي حروف القرآن الكريم، إن الملازم لتلاوة كتاب الله ينال هذا الأجر العظيم، فعلى المسلم أن يداوم على قراءة ما تيسر له من كتاب الله.

وبقراءة القرآن تنزل السكينة على قارئه، ففى صحيح مسلم:

قال رسول الله ﷺ: وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويَتَدَارسُونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده[1].

كما روى البخاري فى صحيحه فى فضائل القرآن فى باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن / من حديث أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الّليل سورة البقرة وفرسُه مربوط عنده إذْ جالت الفَرَسُ، فسكتَ فسكَنَتْ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس ـ ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّهُ رفع رأسه إلى السماء حتى يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ، فقال له: اقرأ يابن حضير، اقرأ يابن حضير، وفيه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثالُ المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: رسول الله ﷺ وتدرى ما ذاك؟ قال: لا. قال تلك الملائكة دَنت لصوتك، ولو قرأت لأصْبَحَتْ يَنظُرُ الناسُ إليهَا لا تَتَورَى منهم[2].

---

(١) مسلم: الذكر والدعاء، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ٢٠٧٤/٤ ح ٣٩.

(٢) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٦٣/٩ ح ٥٠١٨.

أيها المسلم : إن كتاب الله عز وجل الذى أنزله على خير خلقه محمد ﷺ، قد جعله الله المعجزة الخالدة، لهذا الدين الإسلامي الذى جعله الله خاتم الأديان، كما أن نبيه محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل يقول ﷺ فى حديث أبي هريرة الذى أخرجه البخاري فى فضائل القرآن ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآياتِ ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاهُ الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهُم تابعاً يوم القيامة(١).

إن هذا الحديث يشير فيه المصطفى ﷺ، إلى أن الأنبياء الذين أرسلوا قبله إلى أممهم قد أعطوا من الآيات ـ أيْ ـ المعجزات ـ وهي الأمر الخارق للعادة الذى لا يستطيع البشر أن يأتوا به من عند أنفسهم، ولا يستطيعون معارضته. قد أعطي كل نبي آية ـ أيْ معجزة تثبت لقومه الذين يدعوهم ـ أنه مرسلٌ إليهم من ربه الذي له القدرة المطلقة، وتلك المعجزات التى يَمدُّ الله بها أنبياءه تكون مناسبة لحال قومه، فقد كان السحر فاشياً عند فرعون وقومه، فجاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، ولكنها تلقفت ما صنعوا ولذلك علم السحرة إن ذلك الذى أتى به موسى ليس سحرا وإنما هو آية من الله عز وجل دالة على صدق موسَى عليه السلام فآمنوا به ولم يعبؤا بتهديد فرعون لهم بالقتل والصلب، كما حكى الله ذلك عنهم فى عدد من سور هذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى فى سوررة الأعراف حيث قال موسى للسحرة: ﴿**قال ألقُوا فلمَّا ألْقَوْا سحرُوا أعينَ الناسِ واسترهَبُوهُمْ وجاءُوا بسحرٍ عظيم ۰ وأوحينَا إلى موسَى أن ألقِ عصاك فإذا هىَ تَلقَفُ مَا يأفكُونَ ۰ فوقعَ الحقُّ وبطلَ ما كانوا يعملونَ ۰ فَغُلبُوا هنالِكَ وانقَلَبُوا صاغرينَ ۰ وألقُى السَّحرة ساجدين : قالوا ءامنا بربّ العالمينَ ۰ رَبِّ موسى وهارونَ**﴾ [الأعراف/١١٦-١٢٢].

---

(١) البخاري : فضائل القرآن، فتح الباري ٣/٩ ح ٤٩٨١.

فلما توعدهم فرعون بأن يقطع أيديهم وأرجلهم ويصلبهم فى جذوع النّخل، لم يبالوا لتهديده ووعيده.

و﴿**قَالوا إنّا إلى ربنا منقلبون ۰ وما تَنْقِمُ مِنَّا إلا أنْ آمنَّا بآيات رَبّنَا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**﴾ [الأعراف/ ١٢٥-١٢٦].

هكذا كانت معجزات الأنبياء، ومثل معجزة موسى، معجزة صالح، وعيسى وجميع الأنبياء عليهم السلام كانت معجزاتهم حسّيةً يشاهدها الحاضرون، فلا يستطيعون معارضتها، فتلزمهم الحجة بذلك.

وكانت تلك الرسالات خاصّة بأولئك الذين بعث فيهم أولئك الأنبياء والرسل، فكلما غير الناس تعاليم دينهم التى أبلغها إليهم نبيّهم بالتبديل والتغيير لِمَا أنزله الله إليهم، أرسل إليهم رسولاً ينذرهم ويُذكرهم كما قال تعالى: ﴿**ثم أرسلنا رسلنا تَتْرا كُلَّمَا جاء أمةً رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحَادِيثَ فبعداً لقوم لاّ يؤمنون**﴾ [المؤمنون/ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿**إنَّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإنْ من أمّةٍ إلا خَلاَ فيها نذير**﴾ [فاطر/ ٢٤].

وذلك التغيير والتبديل، لأن تلك الرسالات مؤقتة، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يُوكل حفْظَ تلك الكتب المنَزَّلة إلى علماء تلك الأمم، ولم يتكفل بحفظها، قال تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التَّورَاةَ فيها هُدىً ونورٌ يحكمُ بهَا النَبيُّونَ الذينَ أسلموا لِلذينَ هَادُوا والرّبَانِيُونَ والأحبَارُ بما استحفظُوا من كتابَ الله وكانوا عليه شهداء . . .**﴾ [المائدة/ ٤٤].

فهذا تكليف لهم من الله بحفظ التوراة والإنجيل، والمكلف قد يُوفى بما كُلّفَ به وقد يَحدُثُ منه التقصير والتفريط، وهكذا حدث فبدلوا وغيروا ما أنزله الله إليهم، كما قال تعالى: ﴿**فَويلٌ للذينَ يكتبون الكتابَ بأيْدِيهِم ثم يقولون هذا من عند الله . . .**﴾ [البقرة/ ٧٩].

وقال تعالى: ﴿**وما قدرُوا الله حَقَّ قَدْره إذْ قالوا ما أنزلَ الله على بشرٍ من شَىء قُل من أنْزَل الكتاب الذى جاء به موسَى نوراً وهدىً للنّاسِ تجعلونه قَرَاطيسَ تبدونها وتخفونَ كثيرا . . .**﴾ [الأنعام/٩١].

ولما كانت رسالة نبينا محمد ﷺ رسالةً للناس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿**وما أرسلناكَ إلَّا كافةً للنّاسِ بشيراً ونذيرا**﴾ [سبأ/٢٨].

وقال ﷺ ـ وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وهو خاتم الأنبياء والرسل ـ كما قال تعالى: ﴿**ما كانَ محمدٌ أبَا أحَدٍ من رجالِكُمْ ولكن رسولَ اللهِ وخاتم النبيينَ وكان الله بكل شىء عليما**﴾ [الأحزاب/٤٠].

وقد بعثه الله بدين الإسلام الذى جعله خاتم الأديان ولا يقبل الله من أحدٍ دينا سواه كما قال تعالى: ﴿**ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلَن يُقبلَ منهُ وهو فى الآخرةِ من الخاسرينَ**﴾ [آل عمران/٨٥].

لذلك اقتضت حكمته تعالى أن يجعل لهذا الدين الذي ارتضاه الله عز وجل إلى قيام الساعة دستورا ومنهجاً يضمن للأمة الطريقَ الذى تسير عليه فى حياتها إلى اليوم الموعود، فكان ذلك الطريقُ هو هذا الوحْيُ الذى أوحاه الله إلى نبيه القرآن الكريم، فجعله الدُّستورَ والمعجزةَ الدائمة إلى قيام الساعة، وتكفّلَ بحفظه من التبديل والتغيير فقال: ﴿**إنا نحن نزلنا الّذكرَ وإنَّا لله لحافظون**﴾ [الحجر/٩]. فكانت معجزته باقية ببقاء دين الإسلام، وهو أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، فإلى البحث التالى لمواصلة الحديث عن فضل تلاوة كتاب الله عز وجل، لأنه كلام الله عز وجل، وبوب البخاري فى صحيحه/ باب فضل القرآن على سائر الكلام، نسأله تعالى أن يرزقنا تلاوته والعمل بما فيه، إنه سميع مجيب.

٣١ ـ فضل تلاوة القرآن والعمل به

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه ـ بتلاوة كتاب الله عز وجل، وبيان ما أعده الله لمن يقرأ كتاب الله عز وجل ويعمل بما فيه فقد روى البخارى فى صحيحه فى كتاب فضائل القرآن/ باب اغتباط صاحب القرآن/ عن سالم بن عبدالله، أن عبدالله بن عمر قال ـ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَا حَسَدَ إلا فى اثنتين: رجلٌ آتاه الله الكتابَ **وقام به آناء الليل**، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار»[١].

كما روى من حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلمه[٢].

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، أقرءوا الزهراوين: البقرة، وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صَوافّ تحاجان عن أصحابهما، إقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة[٣].

فالحديث دليل على أن القرآن الكريم ـ إضافة إلى أن لقارِئه بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما سبق ذكر ذلك فى رواية الترمذي، فإنه يشفع لأصحابه يوم القيامة وهم التالون له العاملون بما فيه، كما فى رواية البخاري عن

---

(١) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/٧٣ ح ٥٠٢٥.

(٢) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/٧٤ ح ٥٠٢٧.

(٣) مسلم: الصلاة، باب فضل قراءة القرآن، ١/٥٥٣ ح ٢٥٢.

أبي موسى الأشعرى قال النبي ﷺ: «المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجه طعمها طيب وريحها طيب» الحديث[1]ـ ولهذا أمر النبي ﷺ بقراءة القرآن كما فى أول هذا الحديث هنا، حيث قال: إقرءُوا القرآن فإنه يأتى يومَ القيامةِ شفيعاً لأَصْحَابِه.

إن هذا الفضل العظيم لكتاب الله عز وجل الذى أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ـ وهو المعجزة الخالدة التى جعلها الله لهذا الدين الذى ارتضاه لعباده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ جعله الله معجزة دالة على صدق نبوة محمد ﷺ، وعلى أن الدين الإسلامي هو الدين الحق الناسخ للأديان كلها، ولهذا جاء قوله ﷺ كما فى رواية الإمام البخاري ـ ما من نبيٍ من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتِيتُه وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة[2].

ففى هذا الحديث يشير المصطفى ﷺ ـ إلى أنَّ الأنبياء قبله قد آتَاهُم الله من الآيات ـ أيْ ـ المعجزات مَا تَقومُ به الحجة على أممهم بأنهم أرسلوا إليهم من الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿**وان من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾.

وكانت معجزات الأنبياء السابقين حسية من جنس ما برع فيه أقوامهم، ـ كعصا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله كما فى آية عيسى.

وقد انقرضت تلك المعجزات بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها.

وقد شاركهم رسول الله ﷺ فى تلك المعجزات الحسية ـ كانشقاق القمر وتسبيح الحصى فى يده، وتكثير الطعام وغير ذلك.

---

(١) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/ ١٠٠ ح ٥٠٥٩.

(٢) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/ ٣ ح ٤٩٨١ وتقدم.

ولكن كانت معجزته الكبرى، هي القرآن الكريم، وهو من جنس ما برع فيه العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ، فقد كانوا فى الغاية من البلاغة والفصاحة فجاءهم بهذا القرآن الذى هو بلسانهم، وتحداهم أن يأتُوا بأقصر سورة منه فعجزوا، يدل لذلك قصة عتبة بن ربيعة، فقد ذكر ابن كثير فى تفسير سورة فصلت، ان عتبة بن ربيعة ـ وكان سيدا ـ قال يوماً وهو جالس فى نادى قريش، ورسول الله ﷺ ـ جالس فى المسجد وحده ـ يامعشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه واعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنَّا، فقالوا: بلى ياأبا الوليد. فقام إليه، وعرض عليه ما يأتى، فلنقرأ **العرض والرد** من الرسول ﷺ على ذلك العرض ثم **رَأْيَ عتبة** بن ربيعة بعد ذلك **فى القرآن الكريم** بعد سماعه لما تلاه عليه رسول الله ﷺ.

قال عتبة لرسول الله ـ يا ابن أخى إنّك منَّا حيث قد علمت من السّطةِ أيْ ـ من الشرف ـ فى العشيرة، والمكان والنّسب، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقْتَ به جماعتهم، وسفّهتَ به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضَى من آبائِهم، فاسمع مني أعرضُ عليك أموراً تنظر فيها لعلّكَ تقبل منَّا بعضها.

فقال له رسول الله ﷺ: قل ياأبا الوليد اسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً. وإن كنت تريد به شرفا سودناكَ علينَا حتَّى لا نقطعَ أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكْنَاكَ علينَا، وهكذا حتى فرغ من العرض عليه وهو يستمع إليه.

فقال النبي ﷺ: **أفرغتَ ياأبا الوليد؟** قال: نعم.

قال: فاستمع مني، قال: أفْعَلُ. قال: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم ٠ حم، تنزيلٌ من الرّحمَن الرَّحيم ٠ كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربيًّا لقوم يعلمون ٠ بَشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهُم فهم لا يسمعون**﴾ ثم مضَى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها

عليه، فلما سمع عتبة أنْصت لَهَا، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ـ ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض أقسم يحلف بالله لقد جاءكم أبـو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به. فلما جلَس إليهم قالوا: ما وراءكَ يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أني قد سَمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسّحر ولا بالشّعر، ولا بالكهانة، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلُّوا بينَ الرجلِ وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونَنّ **لقوله الذي سمعت نبأ**، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزُّكُمْ، وكنتم أسعد الناس به.

فقالوا، له: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم»[1].

إن هذه القصـة تبين لك أيها المسلم ـ أن كتاب الله عز وجل هو المعجزة العـظمى التى عجـز عن معـارضتهـا فصحاء العرب مع وجود الداعى لتلك المعارضة، فقد قرر عتبة بن ربيعة لقريشٍ أنه لم يسمع مثل هذا الكلام قط، ثم بين أنه ليس من جنس السّحر، ولا الشعر ولا الكهانة، وقوله هذا هو الحق فإنه لأول مرةٍ يسمـع كلام الله، وكـلام الله لا يشبه كلام البشر الذى اعتاد عتبة سماعه، ولهذا قرر أنه سيكون لكلام رسول الله ﷺ ـ نبأ ـ أيْ سيكون له شأن عظيم. وقد كان ذلك الشأن العظيم، فانتشر الإسلام فى العالم ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وتحقق ما رجاه رسول الله ﷺ فى أن يكون أكثرُ الأنبياء تابعا يوم القيامة. قال ابن حجر فى شرح قوله ﷺ (وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعا يوم القيامة ـ قال ـ رتب هذا الكلام على ما تقدم

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٢/٧.

• سيرة ابن هشام ١٩٣/١.

من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والحجة، والإخبار بما سيكون فعَمّ نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعـا. ثم اتبع ذلك ببعض ما ذكره العلماء فى أوجه إعجاز القرآن[١]، والذى سنتناول الحديث عنه فى المباحث التالية، كما سنشير إلى قواعد وردت فى قصة عتبة بن ربيعة التى سبق ذكرها، ليستفيد منها الدعاة فى بيان منهج رسول الله ﷺ فى الدعوة إلى الله عز وجل.

إن القرآن معجز لأنه كلام الله، وكلامه صفة من صفاته، والله تعالى بصفاته واحد أحد كما قال تعالى جواباً لليهود والمشركين الذين سألوا رسول الله أن يصف لهم ربه، فنزلت سورة الاخلاص، جوابا لهم: ﴿**قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ٠ ولم يكن له كفوا أحد**﴾ ولكن اليهود أعداء هذا الدين المتربصين به قد أدخلوا على المسلمين، بدعة القول بخلق القرآن ـ وهذا طعن فى ذات الله ـ وقد أحدثت هذه المحنة شرخاً فى صفوف الأمة الإسلامية.

وقد تناول العلماء هذه المقولة، وقرروا القاعدة المعروفة وهي:

إن القول قد يكون كفرا، والقائل ليس بكافر إلا إذا توفرت شروط التكفير، كما أن الذى تبنَّى الدعوة لهذه البدعة، الخليفة المأمون ومن تبعه، وممن اشتهرت محنته الإمام أحمد بن حنبل العالم الفقيه، وقد طبق قاعدتين، الأولى قوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» كما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ[٢].

والأخرى عدم الخروج على الإمام ما لم يرتكب كفرا بواحا فيه من الله برهان كما رواه البخارى عن رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) فتح الباري ٩/٧.

(٢) مسلم: الإمارة، وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية ٣/١٤٦٩ ح ٣٨.

(٣) البخاري: الفتن، فتح الباري ١٣/٥ ح ٧٠٥٦.

ولكن نجد فى الوقت الحاضر أن بعض المنتسبين للعلم، لم يحرروا هذه القاعدة - وهي الفرق بين القول، والقائل، فنجدهم يطلقون أحكاماً على الآخرين قد تعود عليهم. ونرى أنه من المناسب تناول هذا الموضوع فى المبحث التالى لأهميته، نسأله تعالى التوفيق والهداية والسداد، وأن يصلح أحوال الأمة لما فيه خيرها وفلاحها وهو التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

٣٢ ـ فضل تلاوة القرآن ـ كلام الله ـ
فى شهر رمضان، وحكم من قال إنه مخلوق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه **بتلاوة كتاب الله** عز وجل، لاسيما فى شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجود ما يكون فى شهر رمضان، لأن جبريل كانَ يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ، يَعرضُ عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجودَ بالخيرِ من الرّيح المرسلة(١).

إن تلاوة كتاب الله عز وجل لا يوازيه أي عمل يقوم به المسلم، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله عز وجل، الذى أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتُوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثله ولو كانَ بعضهُم لبعضٍ ظهيرا**﴾ [الإسراء/٨٨].

وأخبر رسول الله ﷺ كما فى رواية الترمذي، بالأجر العظيم لقارئه، وأن له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وقال: لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

وذلك الفضل لأن القرآن كلام الله عز وجل، قال البخاري فى كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، وأورد فيه حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ، وفيه مثل الذى يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب

---

(١) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٩/٤٣ ح ٤٩٩٧.

وريحها طيب، وفى رواية له ـ قال: المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به[1].

أيها المسلم: إن هذا الفضل للقرآن الكريم على سائر الكلام، لأنه صفة من صفات الله تعالى، منه بدأ وإليه يعود.

فقد روى البخاري فى خلق أفعال العباد من طريق أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رفعه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه ـ قال أبو عبدالرحمن السلمي: وذلك أنَّه منه».

وقد تقدم فى البحث المتقدم الإشارة إلى أن أعداء هذا الدين المتربصين به، قد ادخلوا على المسلمين بدعة القول بخلق القرآن، ولما كانت هذه البدعة التى أُحدثَتْ تَتَنَاولُ ذات الله المقدسة، لأن كلامه صفة من صفاته والله بصفاته واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقد تصدى علماء السنة لدفعها والرد على أصحابها وبيان ضلالهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى. فقد ثبَّته الله فى تلك المحنة. ولما كان القول بأن القرآن مخلوق كفر، ولكن القائل لا يحكم عليه إلا بعد البيان وإقامة الحجة.

فقد تناول العلماء هذه المقولة وبينوا حكمها، وحكم القائل بها. وقرروا القاعدة المعروفة ـ أن القول قد يكون كفراً، والقائل ليس بكافر حتى تُقامَ عليه الحجة وتزالَ عنه الشبهة.

وهذا فى المسائل الخفية التى يخفى دليلها على بعض الناس ومنها هذه المسألة، وما يشبهها، ولو دعى صاحبها إليها وحمل الناس عليها كما فعل المأمون والمعتصم.

أيها المسلم: إنّ أمر تكفير المسلم الذى يشهد لله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ولم يرتكب ناقضاً لهذه الشهادة ـ خطير جدا فقد حذّر رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري: فضائل القرآن، فتح الباري ٦٦/٩ ح ٥٠٢٠.

من ذلك أشَدَّ التحذير، وبين أن هذا الحكم الذى يصدر من شخص أو أشخاص على الآخرين قد يعود الحكم على المكفر إن لم يكن أصحابه كما قال.

روى البخاري فى صحيحه / فى كتاب الأدب / باب ما يُنهى عن السباب واللعن / عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلاَّ أرتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك[1].

كما روى مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان / باب بيان حال إيمان من قال لأخيه يا كافر / عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه[2].

إن هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة تبين لك أيها المسلم حكم الذين يتجرؤن فى إصدار أحكامهم العامة على المسلمين دون حجة واضحة بدليل صريح يعتمد عليه صاحب الحكم، بل تجده يصدر هذا الحكم لموالاة منهج وضعه لنفسه أو مع جماعة رأوا أن هذا المنهج هو الصواب والحكم على من خالفه بالفسق أو الكفر أو السفه أو عدم البصيرة فى الأمور.

وليس هذا منهج السلف الصالح من علماء هذه الأمة، وإنما منهجهم الكتاب والسنة فهما الحكمان على أقوال الناس وآرائهم، فمن خالفهما حكم عليه بالحكم الذي يستحقه بناء على مقدار مخالفته التى ارتكبها فقط، ولا يَردُّ كل ما عنده من حق وصواب.

وإنما المنهج الذى يتبعه كثير من الناس ثم يوالون ويعادون عليه، فيحكمون على من خالفه بكفر أو فسوق، أو عدم فهم، أو قصور فى الفهم، هذا المنهج من مناهج أهل البدع فهم الذين قعدوا تلك القواعد وأصَّلُوا تلك الأصول وجعلوها هي المرجع والمقياس فما وافقها قُبل وما خالفها رد ـ من نصوص الكتاب والسنة.

وبناء على ذلك فمن وافقهم على ذلك المنهج فهو منهم، قبلوه وأثنوا عليه ومن

---

(١) البخاري: الأدب، فتح الباري ١٠/٤٦٤ ح ٦٠٤٥.

(٢) مسلم: الإيمان ١/٧٩ ح ١١١.

خالفهم نبذوه وعادوه، وإليك ما قاله علماء السلف من أهل السنة والجماعة فى ذلك.

- يقول الإمام ابن القيم رحمه الله فى كتابه الصواعق ج ١/١١٨ فى بيانه لمذاهب الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة - وأن كل طائفة وضعت لنفسها وأتباعها، قاعدة وأصلا جعلته هو المذهب الذى تُرد إليه أحكام تلك النصوص من الكتاب والسنة، ثم الحكم على ما يخالفه بالرّد أو التأويل، ثم إصدار الحكم على من يخالفهم فى هذا المنهج.

قال: **وحقيقة الأمر** - أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالمعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذى ذهبت إليه، والقواعد التى أصلتها فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه. ثم ذكر أمثلة لذلك فقال: ولهذا لما **أصّلَتْ الرافضة** عداوة الصحابة ردوا كل ما جاء فى فضائلهم والثناء عليهم، أو تأولوه.

ولما **أصلت الجهمية** - إن الله لا يتكلم، ولا يكلم أحدا، ولا يُرى بالأبصار - فى الآخرة - ولا هو مستو فوق عرشه مباين لخلقه، ولا له صفة تقوم به، أولوا كلما خالف ما أصّلوه.

ولما **أصلت المعتزلة** القول بنفوذ الوعيد، وإن من دخل النار لم يخرج منها أبدا أولوا كلما خالف أصولهم - وهكذا ذكر بقية الطوائف التى جعلت لنفسها قواعد وأصولاً تحكم بها على من خالفها في تلك القواعد والأصول المبتدعة تحكم عليه، إمّا بالتكفير أو الفسق، بل إن تلك الطوائف، كل طائفة منها تحكم على الطائفة الأخرى بتلك الأحكام، لأنها خالفت الأصل الذى أصلته واعتقدت إنه الحق.

وليس هذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وإنما منهجهم قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعُوا الله وأطيعوا الرَّسُولَ وأُولى الأمرِ منكم، فإن تنازعتُم فى شىء فردوهُ إلى الله والرسول إن كنتُم تُؤمنون باللهِ واليومِ الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً**﴾ [النساء/٥٩].

ومن هنا نجد أن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة قد طبق هذه القاعدة، وهى الرد إلى الله والرسول حين الاختلاف.

وربط بين طاعة أولى الأمر، بأنها مقيدة بطاعة الله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. ثم طبق القاعدة الأخرى وهي عدم الخروج على إمام المسلمين مهما ارتكب من أخطاء ما لم يكن كفرا بواحا فيه من الله برهان.

فحينما دعى الخليفة المأمون إلى بدعة القول بخلق القرآن التى أدخلها عليه الجهمية وتَبَنّتْها المعتزلة، وواصل بعده المعتصم ومن بعده وحملوا العلماء عليها، ومنهم الإمام أحمد رحمه الله ـ فحينما ناظروه طالبهم بدليل من الكتاب والسنة على تلك المقالة ـ وقد قال له الإمام المعتصم نفسه حين الامتحان بين يديه ـ يا أحمد والله إنى عليك لشفيق، وإنى لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابنى ما تقول، قال أحمد: فأقول: اعطونى شيئا من كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله[1]. فلما ضجر منه المعتصم أمر بضربه، وكان أثْنَاء الضرب يعرض عليه، فيرد عليه كما قال سابقا، فضُرِبَ حتى أُغمي عليه وهو ثابت على عقيدته.

أيها المسلم: إن مواقف أئمة الهدى كالإمام أحمد وأمثاله فى الفتن ينبغى أن تُتخذ **منهجاً فى فهم الكتاب والسنة**، يجب على المنتسبين للعلم والدعوة، الاقتداء بهم فى ذلك.

فإننا نجد الإمام أحمد فى هذه البدعة التى تبناها الخلفاءُ ودعوا الناسَ إليها، وعاقبوا من خالفهم بالحبس والضرب والقتل موقفاً واضحا من الخلفاء.

إنه لم يُشهِّر بهم، ولم يدعُ للخروج عليهم، بل دعى لهم واستغفر لهم، وهو يعلم موقِعَه فى قلوب الناس ـ فلو قال لهم اخرجوا على الخليفة لأجابه الناس جميعا ولكنه لفقهه لسنة رسول الله ﷺ لم يعمل شيئاً من ذلك ـ فإن الخلفاء يحكّمون شرع الله بين الناس، ويقيمون حدوده، وإنما وقعوا فى معصيةٍ لم تكن

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٠٢، تحقيق الدكتور عبدالله التركي.

كفراً بواحاً توجب الخروج عليهم، كما قال رسول الله ﷺ حينما سُئل عن الحكام الظلمة، كما في صحيح البخاري.

وإننى سأنقل هنا بعضَ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه القضية كما جاء فى الفتاوى ٤٨٨/١٢ فبعد أن ذكر ما فهمه المستمع من عموم ألفاظ الأئمة كقولهم: من قال كذا فهو كافر، قال: اعتقد المستمع إن هذا اللفظ شامل لكل مَنْ قاله. ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع، قد تنتفي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين.

ثم قال: يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه.

ثم قال: فهذا الإمام أحمد قد باشر «الجهمية» الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائرَ علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التّجهم، بالضّرب، والحبس، والقتل، والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق... إلى أن قال: فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان، ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان.

ثم قال: ومعلوم إن هذا من أغلظ التجهم. فإن الدعاء إلى المقالة أعظمُ من قولها. وإثابة قائلها، وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها، والعقوبة بالقتل أعظم من العقوبة بالضرب - ثم قال: ثم **إن الإمام أحمد** دعا للخليفة وغيره ممن ضَرَبَه وحَبسه، واستغفر لهم، وحلَّلَهُم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذى هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام، لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار، لا يجوز، بالكتاب والسنة والإجماع.

هذا موقف الإمام أحمد رحمه الله وهذا فقهه، فعلى الدعاة إلى الله الاقتداء به في ذلك، فإن فيه السعادة والفلاح وجمع كلمة الأمة ودعوتها إلى الخير، والحمد لله رب العالمين.

٣٣ ـ الوصية بـذكـر الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق لنا الحديث عن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه بتقوى الله عز وجل، ولما كان من صفات المتقين إقامُ الصلاة فقد تناولنا فى الحلقات السابقة وصيّةَ رسول الله ﷺ بالمحافظة على الصلاةِ التى لا يزال يوصي بها حتَّى آخر لحظة من حياته وهو يقول: الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.

وذكرنا ما ورد فيها من الفضل الكبير، والأجر العظيم، والثواب الجزيل لمن حفظ صلاته وحافظ عليها، وأدّاها فى أوقاتها فى المساجد التى بُنيت لها مع جماعة المسلمين.

كما ذكرنا الآياتِ والأحاديثَ الصحيحة التى تُبيّن أنه لا حظَّ فى الإسلام لتارك الصلاة، كما قال رسول الله ﷺ فى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر[1].

كما أوردنا الآياتِ والأحاديثَ الصحيحة التى فيها الوعيد الشديد لمن يَتَهاونُ فى أداء الصلاة جماعة، أو يؤخرها عن وقتها.

وحيث أن فى حديث أبي ذر المشار إليه الوصية بتلاوة القرآن وقد سبق الحديث عن ذلك ثم الوصية بذكر الله عز وجل، فبذكر الله تطمئن القلوب، فسيتناول هذا البحث وما يليه الحديث عن ذكر الله عز وجل.

فإن الحثَّ على ذكرِ الله عز وجل، وبيانِ فضله، وثوابِ الذاكرين اللَّهَ كَثيراً والذَاكراتِ، قد وردت به آياتٌ كثيرة فى كتاب الله عز وجل، وأحاديثُ فى سنة

---

(١) المسند: ٥/٣٤٦، ٣٥٥.

• وابن ماجه: المقدمة ١/٣٤٢ ح ١٠٧٩.

المصطفى ﷺ، وفوائده وآثاره على العبد لا تُعد ولا تُحصى، فهو العبادة المطلقة، والميسرة، للغنيّ والفقير، والقويّ والضعيفِ، والصحيحِ والمريض، وهو العبادة التى لم تُقيد بزمان ولا مكان، ولا بحال دون حال، وذلك فضلٌ من الله على عباده المؤمنين فالله تعالى يقول فى كتابه الكريم: ﴿**إن فى خلق السموات والأرضِ واختلافِ اللّيلِ والنهارِ لآياتٍ لأُولى الألبابِ. الّذينَ يذكرونَ اللَّهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. ويتفكرون فى خلقِ السمواتِ والأرضِ ربنا ما خلقتَ هذَا باطِلاً سبحانَك فقنا عذاب النار**﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩٢].

فأنت أيها المسلم ـ تذكر الله بلسَانِكَ فى جميع أحوالك، قائماً وقاعداً، وعلى جنبك، إذ لم يردْ فى ذكرِكَ لِلّهِ شرطٌ بأن تكون على هيئة معينةٍ، ولا فى مكانٍ معينٍ، ولا عند شيخ معينٍ، كما يفعله أصحاب الطرق المبتدعة حيث عَقَّدُوا على المسلمين ولاسيما على عوامهم أمر هذا الدين الذى يسره الله لعباده، فأنت ترى أيها المسلم كيف يَسَّر الله لَكَ هذه العبادة ـ لأن أحوال الإنسان فى حياته اليومية ـ من ليله ونهاره ـ إما أن تكونَ قائما، أو قاعدا، أو ماشياً، أو مضجعا على فراشه وقد يسر الله له هذه العبادة على أيّ حال كان.

فقد روى الترمذي فى كتاب الدعوات/ باب ما جاء فى فضل الذكر/ من حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثُرت علي فأخبرني بشيء اتشبث به قال: لايزالُ لسانَكَ رطباً من ذكر الله[1]. فرسول الله ﷺ حث هذا السائل على المداومة على ذكرِ الله عز وجل، وذِكْرُهُ تعالى يكون بالتهليل، والتكبير والتحميد والتسبيح بالقلبَ واللسان، ولم يحد له زماناً ولا مكاناً، وهذا من محاسن هذا الدين، ويسر تعاليمه.

وإليك أيها المسلم نماذجَ من أنواع الذكر، وما ورد فيه من الأجر الجزيل فى كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ، يقول تعالى فى كتابه الكريم: ﴿**إنّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادِقاتِ**

---

(١) المسند: ٤/١٨٨، ١٩٠، ابن ماجه: ح ٣٧٩٣.

والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمينَ والصائماتِ والحافظينَ فروجَهم والحافظاتِ والذّاكرينَ اللَّهَ كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللَّهُ لَهُمْ مغفرَةً وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب/٣٥].

إن ذكر الله عز وجل بالتسبيح والتحميد والتهليل، وطَلب رحمتِه ومغفرتِه ورضوانِه، تنشأ عن التفكر فى آياته التى نَصَبَها لعباده فى أنفسهم وفى الكون كله ـ كما قال الناظم:

وفي كل شيء له آية تدل على أنــه واحــد

ولكن لا يستفيد من هذه الآيات البينات الواضحات إلا أُولُو الألباب أي أصحاب العقول الذكية، بخلاف الذين يمرون على آيات الله وهم عنها معرضون، فالآية السابقة وهي قوله تعالى: **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيَاتٍ لأُولى الألبابِ ٠ الذين يذكرون الله قياماً وقُعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خَلْق السمواتِ والأرضِ ربَّنَا ما خلقت هذا باطِلاً سبحانَك فَقِنا عذاب النار﴾** بَيَّنتْ أنَّ أصحاب العقول السليمة وهم أولو الألباب الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ـ أي ـ ينظرون بأبصارهم متفكرين فى ذلك بعقولهم التي منحهم الله إياها للنظر والاعتبار هم المستفيدون من تلك الآيات، فهم ينظرون فى السموات في ارتفاعها واتساعها وحفظها وعدم زوالها، كما قال تعالى: **﴿الذى خَلَقَ سبع سمواتٍ طباقاً مّا تَرى فى خلق الرحمن من تفَاوُتٍ فارجعِ البصرَ هل ترى من فُطُورٍ ثُم ارجع البَصرَ كرَّتين ينقلبْ إليكَ البصَرُ خاسئاً وهو حسير ٠ ولقد زينَّا السَّمَاءَ الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رجوماً للشَّيَاطينِ واعتدنا لهم عذاب السَّعيرِ﴾** [الملك/٣ـ٥].

ويقول فى حفظها وعدم زوالها: **﴿إن الله يُمسِكُ السمواتِ والأرضَ أن تزولاَ ولَئنْ زالَتَا إن أمسَكهمَا مِن أحدٍ بعده إنه كان حَليماً غفورا﴾** [فاطر/٤١].

فَبتَفَكُّرِهِمْ فيها، واعتبارهم بآياتِها، وما أودعه الله فيها، ينشأ عندهم ذِكْرُ خالقها، فيحمدونه ويسبحونه، ويطلبون مغفرتَه ورضوانَه، وكما يتفكرون فى

خلق السمـوات وعظمها، يتفكرون فى هذه الأرض التى يعيشون عليها، فى انخفاضها، وكثافتها واتضاعها وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة التى جعلها اللَّهُ دليلاً على وحـدانيتـه وأنه هو المستحق للعبادة وحده حيث قال: ﴿يا أيها الناس اعبدُوا ربَّكم الذي خلقكم والّذينَ مِن قبلِكُمْ لعلّكُم تتقونَ ٠ الذى جعل لكُم الأرضَ فراشاً والسَّماءَ بناءً وأنزلَ مِن السماءِ ماءً فأخْرجَ بهِ مِن الثَّمرَاتِ رِزْقاً لكُم فلا تجعلُوا للَّهِ أندَاداً وأنتُم تعلمون﴾ [البقرة/٢١، ٢٢].

فأولو الألباب هم الذين يتفكرون فى خلق الأرض التى جعلها الله لعباده بمثابة الفراش يأوي إليه الإنسانُ ليستريحَ عليه بعد تعبه وكَدّه، وقد جعل الله الأرض صالحة لحياته وجعل فيها جميعَ أقواتها، وما ينتفع به العباد، فقد شَقَّ فيها الأنهار، ورفع فيها الجبال، كما جعلها صالحةً للزراعة والسُّكنى ملائمةً للحياة.

أيها المسلم : إنَّ أغلى أوْ أثمنَ شيء عند الإنسانِ هو الذَّهبُ والفضَّة، فلو أن الله تعالى جعلَ هذه الأرضَ كلها صفيحة ذهبٍ، أو فضةٍ، فهل سيعيش عليها الإنسان، أو جعلها كلها من حديد أو نحاسٍ أو غير ذلك مما هي عليه، بفجاجها ووديانها وجبالها وسهولها وبحارها، أيمكن أن يعيش عليها إنسان أو حيوان، إن الله العليمُ الحكيم جعل لنا الأرض هكذا وطلبَ من النّاس جميعاً أن يعبدوه، نَاصباً لهم الأدلة على أنه هو المستحق لأنْ يعبد وحده ـ يا أيها الناس اعبدوا ربَّكم الذى خلقكم ـ فهو وحده المتفرد بالخلق والإيجاد ـ ولهذا قال بعد ذكره لخلق السموات والأرض كما فى قوله تعالى: ﴿خلق السمواتِ بغير عَمَدٍ ترونَها وألْقى فى الأرضِ رواسيَ أن تميد بِكُم وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ وأنزلْنا مِن السَّماءِ ماءً فأنبَتنَا فيها من كلِّ زوجٍ كريمٍ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿هذا خَلْقُ اللَّهِ فأروني ماذا خلَقَّ الذينَ مِن دونهِ بل الظالمونَ فى ضَلالٍ مبين﴾ [لقمان/ ١٠، ١١].

ولهذا يؤكد الله تعالى أنه هو الخالق للناس وللحيوان وللكون، وحده، وأنَّ المتَّصِفَ بصفـةِ الخلق التى يعجـز البشر كلهم عن مشاركته فيها هو المستحق للعبادة وأن فاعل ذلك وحده هو الإله الحق. فيقول: ﴿يا أيها الناسُ ضُرِبَ مَثلٌ

فاستمعُوا لَهُ إنّ الذين تدعونَ من دونِ اللَّهِ لَنْ يخلقُوا ذبَاباً ولو اجتمعوا لَهُ﴾ [الحج/٧٣].

هكذا يتحدَّى الله جَميعَ الخلق بمعبوداتهم التى يدعونها ويرجونها من دونه سواء كانت جماداً كالأحجار والأصنام المنحوتة من خشب وغيرها ـ أو كانت أشخاصاً ممن يُسمُّونهم أولياء، وسواء كانوا على قيد الحياة أو فى قبورهم ومشاهدهم التى بنوها عليهم ـ كل هؤلاء لا يستطيعون أن يخلقوا الحياة أو أن يوجدوا ذُبَاباً وهو من أحقر المخلوقات وأصغرها ـ وأن الملحدينَ المنكرين لوجود الخالق وإن صعدوا إلى الكواكب، فهم عاجزون أن يوجدوا ذُباباً ويخلقوا فيه الحياة ـ بل هم عاجزون عن دفع الموت عن أنفسهم ـ والأعجب من ذلك قوله تعالى فى هذه الآية عن الإلهة المدعوة من دونه: ﴿وإن يَسْلُبْهُم الذُّبَابُ شيئاً لا يستنقذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ﴾. ثم قال مبينا أن القدرة المطلقة له وحده: ﴿ما قَدرُوا اللَّهَ حقّ قدره إنَّ الله لقويّ عزيز﴾ [الحج/٧٤].

إن هذه الآيات البينات التى تدعو المسلم لأن يذكر الله ويشكره، لا يعقلها إلا العالمون بالله المتفكرون فى مخلوقاته. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السمواتِ والأرضِ ربَّنَا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار.

٣٤ ـ الوصية بذكر الله ـ أفضل الذكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد سبق الحديث ـ أن ذكر الله عز وجل ناشىء عن الإيمان به والتفكر فى آياته الكونية فى الآفاق وفى الأنفس.

وذكرنا قوله تعالى فى سورة الأحزاب فى وصفه تعالى لعباده المؤمنين حيث ختم تلك الأوصاف بقوله تعالى: ﴿. . . **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعَدّ الله لهم مغفرةً وأجرا عظيما**﴾.

أيها المسلم : إن الدين الإسلامي الذى جعله الله آخر الأديان وخاتمهَا، ولن يُقبل من أحدٍ ديناً سواه قد جعله الله ميسرا وسهلاً لجميع البشر، لا تختص به طبقة دون أخرى، ولا القوي دون الضعيف، ولا الغنيُّ دون الفقير، ولا الحاكم دون المحكوم.

ومن فضل الله على عباده أنه إذا عجز المرء عن أداء عمل من أعمال الخير بسبب فقر أو مرض، وعلم الله نيته الصادقة أعطاه مثل أجر القويّ الغني القادر. فالله يقول فى كتابه الكريم موضحاً ذلك: ﴿**ليس على الضُّعفَاءِ ولا على المرضَى ولا على الذين لا يجدونَ ما ينفقون حرجٌ إذَا نَصحُوا للَّهِ ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم • ولا على الذين إذا ما أَتوكَ لتحملهم قُلتَ لَا أجدُ ما أحملُكم عليه تولّوا وأعيُنهم تفيض من الدّمع حزناً ألَّا يجدوا ما ينفقون**﴾ [التوبة/ ٩١، ٩٢].

ففى الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتم سيرا إلا وهم معكم، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: نعم حبسهم العذر»(١). وروى الإمام أحمد عن جابر قال: «قال رسول الله ﷺ: لقد

---

(١) البخاري: الجهاد، من حبسه العذر، فتح الباري ٦/ ٤٦ ح ٢٨٤٩. والمغازي ح ٤٤٢٣.

خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا إلا شركوكم فى الأجر حبسهم المرض»[1].

فهذا فضل الله على عباده، وقد جعل تعاليم دينه ميسرة لجميع عباده كما قال تعالى: ﴿ . . . **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** . . ﴾ [البقرة/١٨٥].

ومن تيسيره تعالى على عباده أن جعل ذكرَهُم له الذي ينالون به الدرجات العلا ميسراً لهم فى كل وقت وحين، وعلى أي حال كان الإنسان، قائماً وقاعداً ومضطجعاً، فله أن يذكر الله ـ وأفضل الذكر قوله: «لا إله إلا الله» وهي أفضل الحسنات فقد أخرج الترمذي وأحمد من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **أفضل الذكر لا إله إلا الله**. وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أوصِني. قال: إذا عمِلت سيئةً فأتبعها حسنة تَمحها، قال: قلت: يارسول الله أمن الحسنات، لا إله إلا الله قال: هي أفضل الحسنات.

فهذا الحديث يوضح لك أيها المسلم ـ أن كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله ـ أفضل الذكر وأفضل الحسنات، وحُقَّ لها فإنها مفتاح الإسلام، بل بابه الذى لا يُدخل إليه إلا منه، بل عماده الذي لا يقوم بغيره، وهي أحد أركان الإسلام بل ركنه الأول، وهي الفرقان بين الإسلام والكفر، وبين الحق والباطل.

ومن فضلها ـ أنَّ قائلها مخلصاً من قلبه، أسعد الناس بشفاعة المصطفى ﷺ يوم القيامة ـ فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يارسول الله مَنْ أسعدُ النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا أحدٌ أولَ منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه[2].

---

(١) المسند ٣/١٠٣.

(٢) البخاري: العلم، الحرص على الحديث، فتح الباري ١/١٩٣ ح ٩٩، وح ٦٥٧٠.

ومن فضلها ـ أن من قالها عند موته وختم كلامه الذي يتكلم به ـ بلا إله إلا الله، عاقلاً مختاراً أوجبت له الجنة، فإن من مات تائباً من ذنوبه فى الوقت الذى تقبل فيه التوبة، وهو قبل بلوغ الروح الحلقوم ـ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وليست التوبة لِلّذينَ يعملونَ السيئاتِ حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قالَ إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار**﴾ [النساء/١٨].

فقد روى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو نائم وعليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيظ، فجلست إليه، فقال: ما من عبدٍ قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قالها ثلاثا، ثم قال فى الرابعة: على رغم أنف أبي ذر. قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر»(١).

فالحديث صريح فى أن العبد الذى تختم حياته ـ بلا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه تائباً من ذنبه يدخل الجنة، فالرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق لا يقول إلا الحق.

ومن فضل ـ لَا إلَه إلَّا الله ـ أن من قالها عشر مراتٍ كان كَمَنْ أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل.

فقد أخرج مسلم من حديث أبي أيوب الأنصارُي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من قال: لا إله إلَّا اللَّهُ وحدهُ لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، من قالها عشر مراتٍ كان كمن أعتق أربعةً من ولد إسماعيل(٢).

---

(١) مسلم: الإيمان، من مات لا يشرك بالله شيئا... الخ. ١/٩٥ ح ١٥٤.

(٢) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٧١ ح ٣٠.

أيها المؤمن الحريص على الخير، إن هذا الحديث دليل على أن هذا **الذكر الذي لا يأخذ** ـ من وقتك إلا دقائق معدوداتٍ، وفى أثناء عملك الذى تقوم به سواء كنت قاعدا، أو قائما، أو ماشيا، أو مضطجعاً ـ يقومُ من الأجر مَقَامَ أربع رقاب من ولد إسماعيل وهم أشرف العرب، وقد ثبت عن النبي ﷺ ـ أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً منه من النار. فعلى هذا يُعتق قائل هذه الكلمات عَشْر مرات عتقاً متضاعفاً مرةً بعد مرة حتى يبلغ أربع مرات. فانظر أيها المسلم لهذا الفضل العظيم، والأجر المضاعف من الغفور الرحيم، لهذا العمل القليل الذي لا يكلّفُ صاحبه عَنَاءً.

ومن فضل الذكر بلا إله إلا الله ـ مَحْوُ الذنوب عن صاحبها وإن كانت مثلُ زبد البحر فقد روى الترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ما على الأرض أحدٌ يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كُفّرت عنه خطاياه ولو كانت مثلُ زبد البحر.

فهـذا الحديث عن رسول الهدى ﷺ يبين أن التَّكَلُّم بهذا الذكر ـ لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله مرّةً واحدة يمحو الذنوب عن قائلها وإن كانت فى الكثرة إلى غاية تساوي زبد البحر، وفضل الله واسع، وعطاؤه جَمّ، ورحمته وسعت كل شيء.

وذلـك فى الذنوب التى لِلَّهِ وحده، أما حقوق الآدميين، كأخذ أموالهم، والحديث فى أعراضهم وغير ذلك مما حرمّه الله على المسلم فى حق أخيه المسلم، فلابد فى ذلك من ردّ المظالم إلى أصحابها، وطلب العفو منهم، فإن الله سبحانه لا يظلم أحدا لأحد.

ونختتم الحـديث عن فضـل الذكر ـ بلا إله إلا الله ـ بهذا الحديث الذى أخـرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ركب

ومعاذ رَدِيفُه على الرَّحْل. قال يامعاذ بن جبل. قال: لَبيكَ يارسول الله وسعديك ثلاثاً. قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمّه الله على النار. قال: يارسول الله أفلا أخبرُ بها النَّاسَ فيستبشروا؟ قال: إذاً يَتَّكِلُوا. فأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً[1].

أيها المسلم: إن ذكر الله عز وجل ـ بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ـ لا يعادِلُه ذكر ـ ولهذا قال ﷺ أَفْضَلُ مَا قُلْتُ والنبيُّون قَبْلِي ـ لَا إله إلَّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وهو دعاء يونس عليه السلام كما فى قوله تعالى: ﴿**وذَا النُّونِ إذْ ذَّهَبَ مُغاضِباً فظنّ أنْ لَّنْ نقدر عليه فنَادَى في الظُّلُماتِ أنْ لَا إلَه إلا أَنْتَ سُبحَانَكَ إنّي كنتُ من الظَّالمين**﴾ [الأنبياء/٨٧].

فهذا الحديث دليل على أن هذه الكلمة ـ المشتملة على الشهادتين، تقتضي تحريم قائلها على النَّار، ومن حُرِّمَ على النار فَلَا تَمسَّهُ أبداً، وظاهره أنَّها تُكَفِّرُ جميعَ الذنوب على اختلاف أنواعها ـ إلا حقوق الآدميين ـ كما سبق ذكر ذلك ـ ولكن بشرطها كما ورد فى الحديث ـ صادقاً مِنْ قَلْبِه.

أيها الذاكر لله عز وجل أعلم: أن كل الروايات التى سبق ذكرها، في فَضْلِ الذِّكر ـ بلا إله إلَّا الله، هو أن يكون الذكْرُ بها ـ كما نطق به رسول الله ﷺ ـ أيْ ـ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ـ متضمن للنفي والإثبات ـ فلا إله ـ نفي لجميع الآلهة الباطلة ـ و ـ إلَّا الله ـ إثباتٌ للإله الحق سبحانه وتعالى ولكن لبّس إبليس وتلاعب ببعض الجهّال الذين يدْعون الناسَ إلى ذكرِ الله ـ وهم على جهل بسنة رسول الله ﷺ ـ حتى صاروا يقولون فى ذكرهم ـ الله ـ الله، الله ـ ووصل تلاعب الشيطانُ ببعضهم إلى أن يقولوا فى الذكر ـ هُو، هُو، هُو ـ وهذا التلاعب بذكر الله بهذه الكلمة العظيمة التى قرأت ما أعدّه الله لقائلها، قد تلاعب الشيطان بكثير من الناس ولبَّسَ عليهم أمور دينهم، ومن ذلك ما يَحْدُثُ

(١) البخاري: العلم، فتح الباري ١/٢٢٦ ح ١٢٨، ١٢٩.
• ومسلم: الإيمان ١/٦١ ح ٥٣.

من أصحاب الطرق الصوفية، فى أورادهم التى ابتدعوها، مخالفين بذلك سنة رسول الله ﷺ، وكثيرا ما يُسمعُ ذلك فى الموالد التى يقيمونها زاعمين أنَّ ذلك العملَ هو محبّـةٌ لرسول الله ﷺ وتلك الألفاظ اغراق فى الذكر، ثم احتفالهم بمولده ﷺ بزعمهم إن تلك الأعمال محبة لرسول الله ﷺ ـ وما علموا أن محبّتَهُ هي اتباع سنته، ولم يثبت فى سنته أنه احتفل بمولده، ولو كان مشروعا لدل أمتَّه عليه لأنه ما من خير إلا دل أمته عليه، ولم يعمل ذلك خلفاؤه الراشدون، ولا أصحابه رضوان الله عليهم، وإلى المبحث التالي لمواصلة الحديث عن الوصية بذكر الله تعالى، فبذكره تطمئن القلوب.

من أصحاب الطرق الصوفية، فى أورادهم التى ابتدعوها، مخالفين بذلك سنة رسول الله ﷺ، وكثيرا ما يُسمعُ ذلك فى الموالد التى يقيمونها زاعمين أنَّ ذلك العملَ هو محبّـةٌ لرسول الله ﷺ وتلك الألفاظ اغراق فى الذكر، ثم احتفالهم بمولده ﷺ بزعمهم إن تلك الأعمال محبة لرسول الله ﷺ - وما علموا أن محبّتَهُ هي اتباع سنته، ولم يثبت فى سنته أنه احتفل بمولده، ولو كان مشروعا لدل أمتَّه عليه لأنه ما من خير إلا دل أمته عليه، ولم يعمل ذلك خلفاؤه الراشدون، ولا أصحابه رضوان الله عليهم، وإلى المبحث التالي لمواصلة الحديث عن الوصية بذكر الله تعالى، فبذكره تطمئن القلوب.

٣٥ ـ الوصية بذكر الله ـ فضل المداومة على الذكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن وصية رسول الله ﷺ بذكر الله عز وجل ـ وقد سبق الحديث عن فضل الذكر «بلا إله إلا الله» وبيان ما أعدّه الله لمن قال هذه الكلمة خالصاً من قلبه عاملاً بمقتضاها، من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

إن فضلَ الذكر بهذه الكلمة ـ وبما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأذكار التى بينها بسنته الصحيحة أجر عظيم لمن واظب عليها لقوله ﷺ فى حديث عبدالله بن بسر حينما قال له السائل إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء اتشبث به. قال: لا يزالُ لسانُك رطباً من ذكر الله[١].

وقد وعد اللَّهُ عبدَه الذاكر الشاكر له، بأن يذكره ولا ينساه، فالله يقول فى كتابه الكريم: ﴿**فاذكروني اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**﴾ [البقرة/١٥٢].

فقد ورد فى الحديث القدسي فى تفسير هذه الآية يقول الله تعالى: إذا ذكرني عبدي فى نفسه ذكرته فى نفسي، وإذا ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه[٢].

ألا تحب أيها المسلم أن يذكرَك ربُّك ـ فإذا حرصت على ذلك ـ ولا شك فى حرص المسلم على الخير ـ فاذكر ربّك دائماً ليذكرك فى ملأ خير من الملأ الذي تذكره فيه، والله يقول: ﴿**واذكر ربَّكَ في نفسكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُونَ الجهرِ مِنَ القولِ بالغدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغافلينَ**﴾ [الأعراف/٢٠٥].

أيها المسلم : إن ذكر الله عز وجل بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير، قد وردت فى فضله وبيان ثوابه آياتٌ وأحاديث كثيرة، كما وردت أحاديث أخرى تبين فضل مجالس الذكر، فقد روى مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة

---

(١) المسند ٤/١٨٨، ١٩٠ وتقدم.

(٢) مسلم، الذكر والدعاء ٤/٢٠٦٧ ح٢١.

والاستغفار / باب فضل مجالس الذكر / عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ـ إن لِلّه تبارك وتعالى ملائكة سيارةً فُضْلاً ـ يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر، قعدوا معهم وحَفَّ بعضهُم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجو وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتُم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونكَ ويهللونك ويحمدونك، ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي، قالوا: لا، أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي.

قالوا: ويستجيرونك، قال: ومِمَّ يستجيروني؟ قالوا: من نارِكَ يارب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري، قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرتُ لهم فاعطيتُهم ما سألوا، وأجرتُهم مما استجاروا، قال: فيقولون يارب فيهم فلانٌ عبدَك خطاء، إنما مرّ فجلس معهم، قال: فيقول: ولَهُ غفرتُ، هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم[1].

أيها الذاكر لربه: أنظر لهذا الفضل العظيم من الرّب الغفور الرحيم الذى ناله ذلك الخطاء بفضل مجالسته لأهل الفضل والصلاح، إن ذكر الله عز وجل تنال به المغفرة للذنوب، ويُعطى السائل ما سأل من ربه فاحرص أيها المؤمن ـ على مجالس الذكر وهي حلقات العلم والدروس والتفقه فى دين الله، فمجالس الذكر التى يجتمع فيها الصالحون وهم الجلساء الذين يجب على المسلم أن يحرص على مجالستهم لأنهم أهل العلم والفضل، وقد حث رسول الله ﷺ على مصاحبة الجليس الصالح، وحذّر من جليس السوء. وضرب مثلا للجليس الصالح ببائع المسك، فإما أن تبتاع منه أو يعطيك، أو تشم منه رائحة طيّبة.

وبالعكس جليس السوء ـ مثّلُه بنافخ الكير، فإما أن يحرق ثوبك أو تَشم منه رائحة كريهة.

---

(١) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٦٩ ح ٢٥.

ونجـد فى هذا الحديث شاهدا لذلك، فإن أهل مجالس الذكر وهم أهل الفضـل والخير والصلاح، لا يشقى بهم جليسهم، فهم يذكرون الله خالقهم ورازقهم ومعبـودهم الحق فيتـوجهـون بعبادتهم هذه له وحده فيطلبون مغفرته ورضوانه ويسألونه جنته ويستعيذون به من ناره، فيغفر الله لهم ويعطيهم ما سألوا وبفضل ذلك العمل، وذلك المجلس الذى يُذكر فيه الله وحده، ينال هذا الخير ذلك الرجل الخطاء، الذى مر بمجلسهم فسمع الخير الذى اجتمعوا له فغفر الله له بفضل مجالسته لهؤلاء الصالحين، فهم القوم كما قال الله تعالى فى هذا الحديث - لا يشقى بهم جليسهم. بل ينال السعادة فيغفر الله له ذنوبه.

ولنقرأ حديث أبي هريرة الآتى الذى رواه مسلم أيضاً، فقد اشتمل على أمور عظيمة من فعل الخير إضافة إلى ذكر الله عز وجل ينبغى للمسلم أن يحرص على القيام بها لأنّها من أعمال الخير التى يقدمها المرء لنفسه فيجد ثوابها عند الله فى يوم لا ينفع فيه الإنسانَ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة - وما اجتمع قوم فى بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتاب اللَّهِ ويتـدارسـونَـه بينهم إلا نزلَتْ عليهم السكينـة وغشيتهم الـرّحمـة وحَفّتهم الملائكةُ، وذكرهمُ اللَّهُ فيمن عنده، ومن بطأ به عمَلُه لم يسرع به نسبه[1].

أيها المسلم: إن هذا الحديث الذى أوردناه للاستشهاد به على فضل مجالسِ الذكر - قد اشتمل على أعمال خيرٍ كثيرةٍ يحسن التنبيه عليها فقد ورد فيه حثُّ المسلمين على التكافل والتعاطف والتراحم فيما بينهم لقوله تعالى - إنّما المؤمنون

---

(١) مسلم: الذكر والدعاء، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٤/٢٠٧٤ ح ٣٨.

إخـوة ـ إن كُرَبَ الـدنيا التى تصيب أخيك المؤمن فيهـا مشقـة عليه، ولكنها لا تسـاوى شيئاً بالنسبة لِكُربٍ يوم القيامة، ذلك اليوم الذى يقفُ فيه الناس لفصل القضاء حتى يلجمَ بعضهم عرقُه وذلك بقدر أعماله فى هذه الدنيا، ذلك اليوم الـذى يقـول فيه الأنبياء جميعاً لمن يطلبون منهم الشفاعة إلى الله لفصل القضاء ـ إن ربي قد غضب اليومَ غَضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ـ إلا نبينا محمد ﷺ الذى يقول ـ أنا لها أنا لها ـ

إن هذا الحديث يحثك أيها المسلم على القيام بعمل ينفعك الله به فى ذلك اليوم الشديد الأهوال.

وهذا الحديث يدلك أيها المسلم على فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، ومن هذه الأعمال التّنْفيس عن أخيك المحتاج، المدين الفقير المريض، وذلك بأن تنفّس عنـه هذه الكربة فى الدنيا، بمدِّ يد المساعدة بقدر استطاعتك، فالله يجازيك بأعظم من ذلك من جنس عملك هذا لأن الجزاء من جنس العمل فينفّس عنك كربة من كرب يوم القيامة.

وكذلك ما ورد فى الحديث من التيسير على المعسر، وستر المسلم الذى أغواه الشيطان فحدثت منه زلّة، وليست تلك عادته، فمن ستره جازاه الله بأعظم من ذلك وهو ستره فى الآخرة.

وكذلك عونك لأخيك المؤمن فى جميع أموره فالله يجازيك بأن يكون فى عونك ومن كان الله فى عونه سعد فى الدنيا والآخرة.

ومن سلك طريقا لطلب العلم الذى يقرّبُه إلى الله سهَّل الله له بذلك العمل طريقا إلى الجنة، وذلك هو الذى يطلبه المسلم وهو غاية قصده فى هذه الدنيا.

ثم جاء فى الحديث ما أوردناه لأجله وهو قوله: وما اجتمع قوم فى بيتٍ من بيوت الله ـ والمقصود به المساجد فهي بيوت الله التى بُنيت للعبادة والذكر ـ يتلون

كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحَفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.

إن قوله - يتدارسونه بينهم - يشير إلى التفقه فى كتاب الله لمعرفة أحكامه من الحلال والحرام وما اشتمل عليه من مواعظ وعبر- فإلى البحث التالى لتوضيح ذلك، والحمد لله رب العالمين.

٣٦ ـ الوصية بذكر الله ـ فضل مجالس الذكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلازال حديثنا عن الوصية بذكر الله عزّ وجل، فبذكر الله تطمئن القلوب.

أيها الذاكر لله عز وجل : فقد سبق في البحث الماضي إيرادُ حديث أبي هريرة الذى رواه الإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء فى باب فضل مجالس الذكر/، وقد جاء فيه قوله ﷺ: وما اجتمع قوم فى بيْتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتْهم الملائكةُ، وذَكرهُم اللَّهُ فيمن عنده.

إن فى هذا الحديث دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن فى المساجد لمدارسته، والتفقه فيه، لمعرفة أحكامه، من الحلال والحرام وما اشتمل عليه من مواعظ وعبر، فيأخذ المسلم من كتاب الله الآداب الشرعية والأخلاق الحسنة، لقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدبرُونَ القرآنَ أَمْ علَى قُلوبٍ أقفَالُهَا**﴾ [محمد/٢٤].

يوضح ذلك قوله ـ يتلون كتابَ الله ويتدارسونَه بينهم، فهو دليل على التّدبر والتفقه فى كتاب الله وبذلك يَكتسبُ المسلم العلم والمعرفة والأخلاق والآداب الشرعية، وذلك هو منهجُ رسول الله ﷺ، فحينما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلقِ رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، أيْ يقرأُ كتابَ الله ويَعملُ بكلِّ ما جاء فيه، وقد قال الله عز وجل عنه: ﴿**وإنك لعلَى خلق عظيم**﴾ [ن/٤].

إنَّ المدارسةَ لكتاب الله والتفقه فيه تدفعُ المسلمَ للعملَ بما جاء فيه.

وهذه فائدة الاجتماع لتلاوة كتاب الله وتدارسه.

إن مجالس الذكر يباهي الله بالمجتمعينَ فيها ملائكتَه، فيظهر فَضْلَهم ويثني عليهم، ويُرى ملائكته حسن أعمال عباده الصالحين.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقةٍ فى المسجد فقال: ما أجلسكم، قالوا جلسنَا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أمَا إني لم استحلفكم تُهمةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنهُ حديثاً منّي، وإنَّ رسول الله ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابه فقال: ما أجلسكم، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمدَه على ما هدَانا للإسلام ومَنَّ به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أَمَا إني لم استحلفكم تُهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أن اللَّهَ عز وجل يُباهي بكم الملائكة[1].

هذه بعض الأحاديث الواردة فى فضل مجالس الذكر وذلك الذكر هو بالتسبيحِ والتحميدِ والتهليلِ، وتلاوةِ كتاب الله ومدارسَتِهِ بَيْنَ المجتمعينَ فى تلك الحلقات للتّدبر والتفقه من أجل العمل بما جاء فيه.

كما أنَّ حديث معاوية رضي الله عنه يشير إلى أنَّ أولئك المجتمعين جلسوا يذكرون الله ويحمدونه على ما أنعم ومنّ به عليهم من هدايتهم للإسلام لِأنَّ الإسلام أكبرُ نعمة يمنُّ الله بها على عباده.

كما قال تعالى: ﴿**اليوم اكملتُ لكم دِينَكُم وأتْمَمْتُ عليكم نعمتِى ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا**. . .﴾ [المائدة/٣].

إن هذه الأحاديث الصحيحة التى أوردناها فى فضل مجالس الذكر، لم يردْ فيها ما يشير إلى ما يفعله أصحاب الطرق والموالد من الذكر بصوت جماعي، وتمايلٍ وإنشادِ قصائدَ مديحٍ بأنواعٍ من التلحين، يشبه الغناء يجتمع لذلك شيخُ ومريديه باسم الّذكر لله، إن هذه الكيفيات والهيئات لم تعرف عن سلف هذه الأمة، من صحابةٍ وتابعينَ، ولا الأئمة الأربعة المتبوعين فى العالم الإسلامي.

بل كانوا يقومون بذكر الله عز وجل فيحمدونه ويسبحونه ويطلبون مغفرته ورضوانه بأدبٍ وخشوعٍ وإنكسارٍ بين يدي خالقهم، وهم بين الخوف والرجاء،

---

(١) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٧٥ ح ٤٠.

لأن رسول الله ﷺ يقول: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَد، متفق عليه ـ فهذه الهيئات والكيفيات مردودة، على من أحدثها، فدين الله كامل، لا يحتاج لزيادة، من البشر.

وبعد ذكر هذه الأحاديث الصحيحة فى فضل مجالس الذكر والتعليق عليها، فإليكم هذه الأحاديثُ النبوية الشريفة التى بين فيها المصطفى ﷺ لأمته أعمالاً خفيفةً على الإنسان ثقيلة فى الميزان، وهي أعمال لا تكلف المسلم عناء، ولا تأخذ منه وقتاً طويلا، ومع ذلك فلها عند الله ثواب جزيل فمن هذه الأحاديث ما رواه الإمام مسلم والترمذي وابن حبان عن مصعب بن سعد قال حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أيعجز أحدُكم أن يكسبَ كلَّ يوم ألفَ حسنةٍ، فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحَدُنَا ألفَ حسنة، قال: يُسَبّحُ مائةَ تسبيحةٍ فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة. وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها[1].

فبهذا التسبيح الذى لا يأخذ من وقتك أيها المسلم أكثر من خمس دقائق، ومع ذلك فأنت تقوم به وأنت فى عملك سواء كنت قائما، أو قاعداً، أو ماشياً، أو مضطجعًا، كما قال تعالى عن المؤمنين الذاكرين: ﴿**الذينَ يذكرون اللَّهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾ [آل عمران/١٩١].

كما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ـ من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطّت خطاياه وإن كانت مِثلَ زبد البحر[2].

أيها المؤمن: إن فضل الله عظيم ورحمته واسعة، ورسول الله ﷺ الرؤوفُ الرحيمُ بأمته قد دلهم على كل خير ينفعُهم فى دينِهم ودُنياهم، وصحابتُه الكرام الذين وعدهم الله جميعاً بالجنةِ ـ كما فى قوله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ أولئِكَ أعظمُ دَرَجةً من الذين انفقُوا من بعدُ وقَاتَلُوا وكلاًّ وعَد اللّهُ الحسنى والله بما تعملونَ خبير**﴾ [الحديد/١٠].

---

(١) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٧٣ ح ٣٧.

(٢) مسلم: الذكر والدعاء، ٤/٢٠٧١ ح ٢٨.

هؤلاء الذين وُعِدُوا من الله بالجنة، والله لا يخلف الميعاد، كانوا من أحرص الناس على عمل الخير والمسابقة إليه لا فرق بين غَنيّهم وفقيرهم ـ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله ذهبَ أهل الدُّثور من الأموال بالدرجات العلى، والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من الأموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال ـ أَلَا أحدّثكم بشيء إذا أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدركم أحدٌ بعدكم، وكنتم خيرَ مَنْ أنتمُ بين ظهرانيهِ إلّا من عمل مثلَه ـ تسبحون، وتحمدون وتكبرون خلْفَ كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ ـ أي تقولون ـ سبحان الله والحمد لله، والله أكبر حتى يكونَ منهنّ كلهنَّ ثلاثا وثلاثين ـ ثم فى تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وفيه: غفِرت خطاياه وإن كانت مثلَ زبد البحر.

وزاد مسلم: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمعَ إخوانُنَا أهل الأموالِ بما فعلنَا ففعلُوا مثلَه، فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء[1].

إن سماحة هذا الدين وتعاليمَه قد فَتحتْ مجال التَّنَافُسِ والمسارعة إلى عمل الخيرات للجميع، من الرجال والنساء، الفقراء والأغنياء، فمن كان فقيرا فقد سهَّلَ الله له اكتساب الحسناتِ الجمّةَ بذكر الله بالتسبيح والتحميد بلسانه ـ والذكر عبادة للجميع لا فرق بين غني وفقير، وإذا كان الذاكر لِلَّهِ غنياً وسابق إلى عمل الخيرات من ماله الذى أعطاه الله عز وجل، وشارك الفقراء فى ذكر الله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فاحرص أيها المسلم على البذل مما رزقك الله وحافظ على ذكر الله وشكره فبذلك يبلغ الذّاكرونَ الدرجات العلى والنعيم المقيم، نسأله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري: الأذان، فتح الباري ٢/٣٢٥ ح ٨٤٣، طرفه ح ٦٣٢٩.
ومسلم: المساجد، ١/٤١٦ ح ١٤٢.

الفهـــرس

الموضـــــــــــوع

الصفحة

ـ مقـدمـــــة ٥

٢٠ ـ الوصية بكتاب الله ٧

٢١ ـ أ ـ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل ١٢

٢٢ ـ ب ـ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل ١٧

٢٣ ـ أ ـ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل والتبديل ٢٣

٢٤ ـ ب ـ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل والتبديل ٢٨

٢٥ ـ جـ ـ الوصية بحفظ كتاب الله ـ من التحريف والتأويل والتبديل ٣٢

٢٦ ـ الوصية ـ بتقوى الله ، والصلاة ، وذكر الله ٣٧

٢٧ ـ الوصية ـ بالصلاة ٤٢

٢٨ ـ ب ـ الوصية بالصلاة ـ الحث على أدائها جماعة وبيان وعيد من
تهاون فى ذلك ٤٧

٢٩ ـ جـ ـ الوصية ـ والخطر على تاركها ٥١

٣٠ ـ الوصية بتلاوة القرآن ٥٦

٣١ ـ الوصية بتلاوة القرآن وفضل العمل به ٦١

٣٢ ـ فضل تلاوة القرآن ـ كلام الله ـ فى شهر رمضان ـ وحكم من قال
إنه مخلوق ٦٧

٣٣ ـ الوصية بذكر الله ٧٣

٣٤ ـ الوصية بذكر الله ـ أفضل الذكر ٧٨

٣٥ ـ الوصية بذكر الله ـ فضل المداومة على الذكر ٨٤

٣٦ ـ الوصية بذكر الله ـ فضل مجالس الذكر ٨٩

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة